بين العمدة ونضرة الاغريض

بقلم سكينة الشهابي

* * *

حين يمر بنا اسم « ابن العلقمي » وزير الخليفة المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس يذهب بنا الخيال كل مذهب وتلفنا موجة من الكآبة ، مبعثها ذلك الدور الذي لعبه الوزير ، ابن العلقمي في سقوط بغداد ، وشق الطريق امام الغزاة التتار ، الذين جاؤوا بغداد ليحلوا في مدينة الرشيد الهمجية والتوحش مكان الحضارة والتقدم .

ولن يخطر في بالنا ان هذا الوزير الذي صب التاريخ عليه لعنته ، كان من انصار الادب ومن المقربين للادباء ، لن يخطر في بالنا انه كان يترأس المجالس الادبية ويجادل النقاد والادباء ، وانه كان يدافع عن الشعر ويطلب من احد النقاد في حضرته ان يدافع عن الشعر ويؤلف كتابا في الدفاع عنه ، يبين فضائله ويعدد محاسنه ويضع للشعراء شرعة ومنهاجا ، لو تمسكوا بهما لن يضلوا سبيل الشعر .

ثقوا انني جادة فيما اقول فالوزير ابن العلقمي يطلب من « المظفر بن الفضل بن يحيى العلوي الحسيني المتوفي – ٦٥٦ – ان يؤلف كتابا انتصارا للشعر والشعراء فيلبي المظفر الطلب ويؤلف كتابا يسميه : « نضرة الاغريض في نصرة القريض » فكيف كان هذا الكتاب الذي الف وشمس الحضارة العباسية تلقي نظرة الوداع على العالم؟ هل استطاع مؤلفه ان يضاهي به ما الف في الموضوع ذاته قبل قرنين تقريبا ام انه كان مسخا للقديم وتلخيصا له.

والحقيقة ان الكتاب يشبه في موضوعه تلك الكتب النقدية التي الفت في عصر نضج الحضارة العربية في القرنين الرابع والخامس ، امثال الصناعتين لابي هلال العسكري والعمدة لابن رشيق الا ان المؤلف يعرض مادته عرضا منظما يفوق بحسن تبويبه وجمال ترتيبه ما الفناه في الكتب التي الفت قبله في الموضوع ذاته ، ويطالعنا ذلك المنهج المنظم منذ بداية الكتاب حين يلخص لنا المؤلف فكرة كتابه ويضع بين ايدينا الخطة فيقسم الكتاب الى خمسة فصول :

الفصل الاول : في وصف الشعر واحكامه وبيان احواله واقسامه .

الفصل الثاني : فيما يجوز للشاعر استعماله وما لا يجوز وما يدرك به صواب القول ويجوز.

الفصل الثالث : في فضل الشعر ومنافعه وتأثيره في القلوب ومواقفه .

الفصل الرابع : في كشف ما مدح به ذم بسببه، وهل تعاطيه أصلح ام رفضه اوفى وارجح .

الفصل الخامس : فيما يجب ان يتوخاه الشاعر ويتجنبه ويطرحه ويتطلبه .

ويأخذ المؤلف بعد مقدمته في بسط ما اوجزه وتفصيل ما اجمله فيخيل لقارئه انه سيجمع له بين دفتي كتابه فن الشعر وبلاغته ولن يترك من علم الشعر وفن القريض شيئا الا يناوله ايا لقمة سائغة حتى يشعر بالامتلاء ، ولا يبقى في نفسه الى شيء من علم الشعر حاجة ، ثم لن تدمى قدماه لو سار في طريق الشعر ودخل وادي عبقر ليغوص في بحوره مع الغائصين.

ولا ريب ان الكتاب يكشف امام القارىء العجلان حجب البلاغة ، باسلوب واضح قريب ، ويعطيه صورة الشعر القويم في لغة العربي ، ومقومات الشعر ، من لغة سليمة واسلوب صحيح، وخيال جيد ، ثم ما يضاف الى ذلك من محسنات بديعية وملاحظات عروضية .

وما اكثر ما يتساءل البعض منا عن معنى التسهيم والترصيع والتقسيم والترديد ، ولا تأتي الاجابات شافية، ذات مدلول دقيق واضح في كتبنا القديمة ، اما في «نضرة الاغريض » فان الاسلوب يتغير فنظن انفسنا امام كتاب حديث استطاع ان يذلل سبل البلاغة ، ويقرب المأخذ لكل طالب .

هل يعني هذا اننا يجب ان نضع كتاب نضرة الاغريض في المرتبة الاولى بين كتبنا التعليمية ونقدمه على كل ما الف في موضوعه ، لانه كان سريعا الى عقولنا قريبا من اذواقنا ؟

والحقيقة انني هللت للكتاب حين وقع في يدي واخذت التهم صفحاته بنهم لا نظير له متنقلة بين ابوابه المنسقة وعناوينه النضيدة ، ومع ذلك فلم احكم للكتاب بالتقدم ولم اضعه في المرتبة الاولى وما ذلك الا لانني كنت قد فرغت حديثا من قراءة كتاب « العمدة » مما اتاح لي فرصة المقارنة بين الكتابين . وجعل احكامي متأنية قريبة من الموضوعية ، لقد اخذت مادة « نضرة الاغريض» تتغلغل في قلبي وظل « العمدة » يسير معها جنبا الى جنب محذرا لي ان سهوت ، عاتبا علي ان حكمت للمتأخر على المتقدم.

واصدقكم القول انني للوهلة الاولى كنت اميل الى تفضيل « نضرة الاغريض» على « العمدة » ولكن ميلي هذا بدا يتراجع بعد ان تمثلت الكتاب تمثلا حقيقيا واستطعت ان اقارن مقارنة دقيقة بين فكر صاحب « العمدة » واسلوبه وفكر صاحب « النضرة » واسلوبه ، ووقتها تراءى لي انني لا انظر الى جديد وانما اجد مادة قديمة في عرض مبسط تزيد على القديم في النظام وتنقص عنه في عمق الفكرة واصالة الراي.

لا شك ان للمظفر منهجه الخاص في التأليف فهو يسعى الى البساطة والوضوح قبل كل شيء، وتبعا لذلك تبدو رغبته في التفصيل والتركيز وحذف جوانب المواضيع الغامضة فيخيل الى قارئه انه انما اخذ فن الشعر كله

عن استاذه المظفر وهو انما اخذ ما يبدو بسيطا سهــلا بعيدا عن التعقيد .

وهذا لا يعني ان صاحب « نضرة الاغريض » كـان ماسخا لافكار النقاد العرب المتقدمين او شارحا لها انـه ذو شخصية قوية وثقافة موسوعية ومما يؤكد اصالـة المظفر وقوة شخصيته الواضحةفي التأليف ما ورد فيحديثه عن التسهيم ، فقد اورد ما وقع فيه كثير من العلمـاء والنقاد من الخلط في تحديد معناه وعدم الايضاح ، ثـم انتقل الى اعطاء المعنى الصحيح للتسهيم في رأيـه ... « وانما التسهيم التخطيط ، والبرد المسهم : المخـطط وكان الاجدر ان يقال : ان التسهيم في الشعر هو التحسين له والتنقيح لالفاظه ومعانيه تشبيها بالبرد المحسـن بالتسهيم ، حتى يكون هذا النوع من الشعر معناه الى قلبك اسرع من الفاظه الى سمعك (١).»

ارأينا كيف فضل رأيا على رأي واختار من معـاني التسهيم ما يجده اقرب للصواب ولكنه رغم ذلك تظـل له شخصية اقل من شخصية ابن رشيق ، لان عمـلـه يقتصر على الجمع والنقل ، والاختيار ، ولا يصل الـى درجة التوسيع والتفريغ ، كما انه لا يسمعنا جديدا من بنات افكاره «وقد اوردناه كما سمعناه وكما روي(٢)».

واذا كان عنده من جديد فان ذلك يبدوفي تذوقه للشعر ونقده للشعراء ، كما في حديثه عن السرقات الشعريـة المستهجنة حيث يورد بيت الاعشى :

فرميت غفلة عينه عن شاته فاصبت حبة قلبه وطحالها

ويقول معلقا على معنى البيت « اما ذكر القلـب والفؤاد فلا ريب انه يتردد كثيرا في الشعر عند ذكرالهوى والمحبة والشوق وما يجده المغرم في هذه الاعضاء من الالم والمرارة والكرب واما الطحال فما رأينا احدا استعمـل ذكره في هذه الاحوال (٣).»

وهذا تعليق جيد يدل على ذوق المظفر وسعــة محفوظه ، اذ ان كلمة الطحال هنا ليس لها اية قيمة فنية ولا ارى الشاعر جاء بها الا من اجـل القافية . ولكـن شخصية الناقد عنده يلازمها شيء من الغرور !

يقول بعد ان يحدثنا عن السرقات « فهذه وجـوه السرقات قد حررت لك لثامها والقيت اليك زمامها فقل ان تجد من يعرف اقسامها ...(٤).»

فكلامه هذا يدل على اعتداده بنفسه اذ يعتقد انـه وحده يحيط بهذا الجزء من العلم بالشعر ، ولا احد غيره يستطيع الاحاطة بما احاط به .. وكأنه نسي العمـدة وما قاله ابن رشيق في هذا الباب ، لقد سرد ابن رشيـق جميع انواع السرقات بعرض مختلف ورأي لا يتفق مـع المظفر دائما . لان المظفر باسلوبه التعليمي تبنى الموضـوع واخذ يبسطه بين يدي تلاميذه . اما ابن رشيق فقد قلب الاراء المختلفة وناقشها . ثم اخذ في سرد الامثلة والتعليق عليهــا .

وهكذا فانشخصيةالناقد تظل اكثر اكتمالا فيصاحب « العمدة » بروحه العلمية وعمق افكاره وطريقةمناقشته.

وحين اذكر الروح العلمية ترد الى خاطري صـورة المظفر في كتابه وهو لا يفتأ يتحين الفرص للطعن عـلى المتنبي والغض من شانه وبسط الحديث عن معانيه، ومع انه يحاول ان يثبت نزاهته وصدقه فان حملته عـلى المتنبي واضحة قوية ، ومن الدلائل على هذه الحملـة ما جاء في حديثه عن السرقات وواجب الشاعر فيالابتعاد عنها قال : ومعظم شعر ابي الطيب من هذا القبيل (اي السرق) فمن ذلك قوله :

كفل الثناء له برد حياته لما انطوى فكأنه منشور

اخذه من ابي القوافي الاسدي حيث يقول :

اردت صنائعه عليه حياته لما انطوى فكأنه منشور (٥)

ويأخذ في سرد سرقات المتنبي . اما سبب تلـك الخصومة فلا نستطيع تعليله كما اننا لا نستطيع قبول آرائه .. وكيف نرضى بطمس شخصية المتنبيالبارزة في شعره ، وطي ذلك الديوان الحافل بكثير من انواع التجديد لنقف عند ابيات كثيرة اذا عدت قليلة اذا قيست بذلـك الشعر ، كيف نقبل بان نقول مع مؤلف « نضرةالاغريض» ان اكثر شعره سرقة .

ان موقفه هذا من المتنبي يؤكد لنا بعده عن النزاهة. ومثل هذا التعصب لا نجده في « العمدة » فيظل ابـن رشيق اقرب الى الموضوعية من المظفر .

غير ان الموضوعية شيء وسعة الثقافة شيء آخر، ونحن لا ننكر ان صاحب « نضرة الاغريض » كان ذا ثقافة موسوعية تتناسب مع حاجة الناقد الباحث ومن مظاهر تلك الثقـافة الموسوعيـة شروحـه اللغوية المنشرة في كافة جوانب الكتاب.

غير ان ابن رشيق كان اغزر ثقافة واعمق فكـرا من صاحب النضرة ، يبدو ذلك في عرضه المتشعب لـلاراء ومناقشتها والحكم لبعضها بالافضلية ، وهذا الموقـف الاخير الناقد لا نجده في « نضرة الاغريض » لان المظفريأخذ من الفكرة الجانب الواضح البسيط ثم يأتي بامثلةواقعية تؤكد افكاره وتجعلها اكثر وضوحا في ذهـن القارىء . واستطيع ان أقارن بين الرجلين في عرضهما للاستطراد .

يقول المظفر : « ومعنى الاستطراد خروج الشاعر من ذم الى مدح ومن مدح الى ذم . وللمحدثين في هذا الباب اشعار كثيرة عجيبة ... »

ويأخذ بعد ذلك في سرد الشواهد . وكلامه هـذا لا يمثل في « العمدة » الا جانبا من جوانب الموضـوع المتشعب الواسع . لكل ناقد فيه رأيه الخاص وتذوقـه الخاص ، وهذه الاراء والاذواق يقبضها ابن رشيق بيمينه ليطل علينامن فوقها بشخصيته القوية الناقدة.والاستطراد

(١) – ص ١٣٨ (٢) – ص ١٣٨ (٣) – ص ٢١٣
(٤) – ص ٢١٥ (٥) – ص ٣٧٨

ليس عند ابن رشيق بلاغة يعلمها مدرس لتلاميذ متوسطي الذكاء. ولكنه فن ونقد وتاريخ ، فهو « ان يرى الشاعر انه في وصف شيء وهو انما يريد غيره فان قطع او رجع الى ما كان فيه فذلك الاستطراد ، والصواب ما بينته ، واوضح الاستطراد قول السموأل وهواول من نطق به حيث يقول .. (٦)»

ويأخذ بعد ذلك في عرض الامثلة عرضا زمنيا ، لم يحدد ابن رشيق الاستطراد في المدح والذم ولكنه جعله شاملا عاما ، ثم فرق بين الاستطراد والخروج فجعل الحد بينهما العودة الى الموضوع ، أن عاد الشاعر الى موضوعه فذلك الاستطراد ، ان لم يعد فذلك الخروج والذي يخلط بين الاثنين مخطيء في نظر ابن رشيق ، اما صاحب « نضرة الاغريض » فيبدل تعريفه على الخلط بين الاثنين كما تدل امثلته على ذلك ، فاول مثال على الاستطراد عنده قول زهير :

ان البخيل ملوم حيث كان ولكن الجواد على علاته هرم (٧)

وهذا المثال بتعريف ابن رشيق من الخروج لان الشاعر خرج من الحكمة الى مديح هرم ولم يعد الى الحكمة . اما المثال الثاني على الاستطراد فقول الفرزدق:

كان فقاح الازد حول ابن مسمع اذا عرقت افواه بكر بن وائل

الذي يدل بدون طويل تفكير على انه حقا من الاستطراد كما يؤكد لنا ان المظفر لا يميز الاستطراد من الخروج ويطلق عليهما اسما واحدا .

وكما يخلط المظفر بين الاستطراد والخروج يخلط بين الالتفات والاعتراض ، وما جاء في النضرة تحت عنوان الالتفات يمكن ان يقسم الى قسمين : الالتفات والاعتراض ، لان الالتفات الصحيح ما كان فيه تغيير في الضمائر حيث يختلف اتجاه الخطاب اما الاعتراض فهو ان تأتي جملة معترضة في اجزاء الكلام فلا يختلف بذلك الاعتراض في البلاغة عن الاعتراض في النحو وقد افرد ابن المعتز لكل منهما بابا مستقلا اما صاحب « العمدة » فانه ـ شأنه دائما ـ يجمع الاراء ويميز بينها ثم يقف منها موقف الناقد ليفضل بعضها على بعض ، وفي مرات كثيرة يلزم جانب الصمت بعد عرض الاراء.. ذلك يكون فيما يبدو حين لا يستطيع ترجيح راي على اخر او الاتيان براي جديد .

وربما عنّ لنا ان اسلوب المظفر سيكون من تلك الاساليب المثقلة بالتكلف والحافلة بالصنعة .. ذاهبين في ذلك مذهب القياس على اساليب العصر فحين نذكر مثلا العماد الاصبهاني صاحب الخريدة ـ ومعاصره القاضي الفاصل، ونذكر حفاوة العماد بالبديع وتشبثه بالتنميق اللفظي الى درجة التكلف والعماد توفي سنة ٦١٩ ـ نظن ظنا يقرب من اليقين ان صاحب « نضرة الاغريض » ليس أقل من العماد حفاوة بالجناس والطباق والمقابلة .. وباقي انواع الحلى اللفظية .

ولكن رأينا يختلف تماما ونحن نقرأ انشاءه فيستغرقنا ذلك الانشاء ونعيش بين ثنايا العبارات بلذة لا تقل عن تلك التي نحس بها ونحن نقرأ بيان الجاحظ .

والحقيقة ان اسلوب المظفر اسلوب جاحظي بموسيقاه العذبة تبعث بها اللفظة الموحية والجمل المتوازنة المترادفة يمليها سجع بعيد عن التكلف قريب من الاذن . سريع الولوج بالمعاني الى القلب .

لنستمع اليه يحدثنا عن فضل الشعر « وهو قيد المناقب ونظام المحاسن ، ولولاه لضاعت جواهر الحكم ، واقوت مرابع المجد وانطمست اعلام الكرم ودرست آثار النعم . شرفه مخلد ، وسؤدده مجدد »(٨).

ان كل سمات المدرسة الجاحظية تبدو هنا حتى الاطناب والترادف وليس هذا فقط بل ان عقل الجاحظ واسلوبه المنطقي المعتزلي يبدوان في اسلوب المظفر وفي هذا النص بالذات يأتينا بمثال على اهمية الشعر فيقول :

« مات سميم عبد بني السماس وله ذكر اضوع من المسك وانضر من الآس ولولا الشعر لما عرف ولا بالاجازة وصف، وكم في بني حام من مجهول طغام ، لا يذكر ولا يشكر . »

ان ذكره لعبد بني الحسحاس الذي خلده الشعر يذكرنا بالجاحظ وهو يحتج للعصا ويعدد الامثلة على فضائلها وعلاء شأنها وشأن من يعتمدها في سفر او حضر.

والمظفر يقف موقف المبرد احيانا في شروحه اللغوية وتفسيراته وتعليقاته وربما يفعل ذلك اذا وجد في الشعر اشتقاقا غريبا او لفظا حوشيا لم تألفه الاسماع . وهذه الشروح تؤكد لنا موسوعية المظفر وتثبت لنا مرونة اسلوبه النثر المتدفق .

يقول في التعليق على هذا البيت :

فملك عندي راحة او تلحلحي باب النبي الهاشمي الموفق

« تلحلحي » أصله من «تلحجي» من الالحاح فابدلوا من الحاء المدغمة لاما كراهة من اجتماع الحاءات(٩).

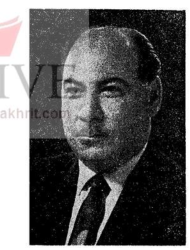
والحقيقة ان المظفر اديب لغوي يتقن فن القول ويسلك طريق الاسماع باسلوب بليغ سمح وهذا الاسلوب ربما فاق اسلوب ابن رشيق القيرواني السهل المتنع . اما في نقده فقد استطاع ان يملك عقولنا بسهولته ووضوحه وحسن تنسيقه لمادته كانت له شخصية بارزة في تبسيط المادة البلاغية ولكن تبسيطه هذا كثيرا ما كان يجور على فن الشعر فيطمس نقاطا اساسية في معالم البلاغة العربية ونحن لا ندري فيما اذا كان يقصد الى هذا الطمس قصدا ام كان ذلك سهوا منه . لم اليه ولم يستوضحه. وانا اميل الى الراي الثاني انطلاقا من هفوات ليست بالقليلة صادفتني وانا اقرأ الكتاب، منها على سبيل المثال تعليقه على هذا البيت :

(٦) عمدة ٣/٢ (٧) ـ ص ١٢٠ . (٨) ص ٢٦٨
(٩) ص ٢٨٠ .

الهجرة الى الداخل

صفـــاء الحيــدري

بغـــداد



أرأيتهـــا .
مذ كـان حبكمـا انتهـى
مذ كنـت انـت تركتهـا
يـرثى لهـا .

مهما ضربت . قسمت . مجهرت النهايات الكبيرة
اخطأت في كل الحسابات الصغيرة
الحب ، واللاحب . بينهما خطـى تبقـى قصيرة
تبقى الحقيقة ، كامتشاق السيف في شمس الظهيرة

ان كنت تبحث عـن حديد في تضاعيف القمـر
او كنت تسعى لامتـلاك الشمس او محو الصور
او كنـت ترسم في الليالي صورة لك ...
تضع النقاط علـى الضجر
كـل الوجـوه تصلبـت
صـارت حجـر

الابتسامات التي صلبت على بعض الوجوه
ومثلهـــا اخـرى
شنقت وابقي امرهـا سـرا
تمضي وتتـرك بعـدها ذكرى
وتمد بين اليوم والغد عائما ، جسرا
تجري عليه حياتنا ، مأساتنا الكبرى
ونعـود من حيـث ابتدأنا مرة اخرى

مهما اغتربت ، رجعت محمولا على معنى
ان اغترابك هجرة للداخل المضنـى
كـل الاصابع اسهمت في ذلك المبنى
وبنـت سياجـا . شيدت سجنـا

تقول وقد ابدى البكاء بعينه ندوبا الا داويت عينك بالكحل
فقلت رأيت الكحل يشغل قدره من العين قدرا لم يكن عنك في شغل

لقد فهم منه ان الشاعر يريد المدة الزمنية التي تذهب بالاشغال بالكحل ، وفي راي ان ما اراده الشاعر ليس الزمان بل المكان من الصين الذي يشغله الكحل لانه يريد ان يرى صاحبته بعينه كلها (١٠).

ولو اردت عرض المآخذ لاحتاج ذلك الى مقال منفرد فأكتفي بهذا العرض السريع المقارن متمسكة بقوله تعالى: « ان الحسنات يذهبن السيئات » والحسنات كثيرة تجعل من الكتاب اثرا من الاثار النادرة يقف الى جانب « العمدة » ليعطينا صورة للتأليف البلاغي في القرن السابع الهجري ويظهر لنا تطور الثقافة العربية خلال قرنين من عمر الدهر .

دمشق

سكينة الشهابي

(١٠) ص ٧٨

الرسائل المتبادلة بين الكرملي وتيمور

بقلم عجاج نويهض

* * *

النقد اخي القارىء الكريم ، قد اطلع على القسم الاول من هذا التعليق بهذا العنوان في العدد الماضي من « الاديب » . وأرى حتما علي الان أن انجز الكلام ، تتمة لهذا الموضوع الذي له منزلتـه الرفيعة عند جميع ادباء العرب في القاصية والدانية ، شاكرا لاخي الاستاذ البير صاحب « الاديب » فسحه المجال لي لاقوم بهذا الواجب قدر الاستطاعة .

مما قال الكرملي في رسالته المؤرخة في ٢ شباط سنة ١٩٢٣ :

ــ اما ان «اللغة العربية مفتقرة الى كلمات عديدة للتعبير عن مختلف المصطلحات والمسميات العلمية والفنية المقتبسة من اللغات الاوروبية » ، فالانسكلوبيدية من جملة هذه الكلم التي يشير اليها . وقتلها في مهدها خير من قتلها من بعد ان تتمكن من كتابنا وكتبنا ، وهذا ما فعله الادباء في عصر العباسيين ، فان الاسطرنوما والارثماطيقي والجومطريا والميخانيقي والبيوطيقي ونحوها كلها ماتت في عصر العباسين ، وكانت قد انشأت في اول عهد العرب بالتعريب فقتلتها الفاظ : علم الفلك والحساب والهندسة والحيل والشعر ، وهذا ما فعله ايضا المعاصرون الذين قتلوا الجرنال ، والغزطة والبالون ، والاروبلان ، والاوتوموبيل (١). واليوم يعرف الناس كلهم الجريدة او الصحيفة(٢)، والمنطاد ، والطيارة (٣)، والسيارة الى غيرها من المخترعات العصرية . افهذا كله يحرص عليه لاننا او لان اللغة مفتقرة الى كلمات عديدة ... فهذا عذر اقبح من ذنب ، والغيور على لغته كالغيور على ماله، لا يحب ان يتصرف فيه كل رائح وغاد » .

قلنا في هذا الصدد ، ولكن ابن خلدون استعمل في « مقدمته » الفاظا مثل الارتماطيقي والجيومطريا ، وغيرها مثل الكيموس ، وهذا بعد عصر ازدهار العباسيين بزمن طويل .

ــ ويقول الكرملي في الرسالة نفسها :

واما وضع ثلاث الفاظ للكلمات الانكليزية :

Policy - Diplomacy - Statesmanship

فقد وضعت لها منذ نحو عشرين سنة ما يقابلها كل المقابلة فالسياسة مشهورة في القديم للكلمة Policy وهي ترى في اقدم الكتب ، واما Statesmanship اي علم ادارة الملكة ، او كما قال بعض اكابر الانكليز اللغويين : هي السياسة العليا للمملكة ، او البراعة في ادارتها . فالعرب قد وضعت المعنى « العياسة » من عاس يعوس ، وهي في المعنى كالاولى ، وكأنهم ابدلوا السين بالعين للدلالة على التفوق ، لانهم لاحظوا ان العين في اول الكلمة كثيرا ما تفيد هذا المعنى فقد قالوا : العلو والعقل والعرفان والعلم والعباب (ارتفاع الموج) ... فكأنهم لما قالوا العياسة بدلا من السياسة ارادوا السياسة العليا للمملكة ، نعم ان الكلمة غريبة لاول مرة نسمعها لكن هذه الغرابة تزول اذا ما زاولها الكتاب .. امـا Diplomacy فانها مشتقة من Diploma وهي تعني وثيقة الكتاب الذي يكتبه احد اولياء الامر ليخول به امتيازا للمكتوب اليه او لحامله وهو الذي سماه العرب بـ « العهد »، فقد جاء عن الخلفاء الراشدين انهم كتبوا عهودا للديرة ولبعض النصارى يخولون لهم بها بعض امتيازات ، ثم يزيد الكرملي هذه المادة شرحا وما نقلناه به الكفاية .

ثم يختتم الكرملي شرحه حول « العهادة » ترجمة « دبلوماسي » بقوله : « واليوم في مصر وسوريةوفلسطين والعراق اناس يرمون الى تمحيص العربية من الدخيل بقدر ما في الطاقة ويكرهون ما يخالف لغتهم » .

ــ تيمور يستعمل « وصلني خطابك » لا كتابك ولا رسالتك ، ويستعمل : « ولماكنت متعودا على تمضية اوقاتي بالمطالعة » فانه عدى « متعودا » بعلى .

ويسأل تيمور : ما راي سيدي في كلمة استنتاج واستنتج من كذا وكذا ، فان الادباء في مصر ينكرونها ويقولون ان الصواب استنباط او استخلاص ، ولعلهم على صواب في ذلك (ص ١٤٥).

فيجيبه الكرملي (ص ١٤٦) : الاستنتاج عندي فصيحة وما ذكره ادباء مصر من مرادفاته اي الاستنباط والاستخلاص في موطن الاول . فالاستنباط غير الاستخلاص ، وهذا غير الاستنتاج ، وكل واحد قائم بمعناه ان في العربية وان في الاعجمية .

ثم يكمل الكرملي كلامه فيقول : « نعم ان اللغويين لم يذكروه في دواوينهم ، لكنهم صرحوا في صدور كتبهم انهم لا يذكرون المقيس من كلام العرب . والاستنتاج من هذا النوع ، وقد ذكره صاحب « اقرب الموارد» نقلا

(١) كان معروف الرصافي وصديقه اسعاف النشاشيبي في القدس (١٩٢٠ ــ ١٩٢٢) تواطأ على ان يقولا « الطومبيل » بفتح الطاء . اما الرصافي فبعد ان ترك القدس لا ادري ابقي على الطومبيل ام تخلى عنه ، واما اسعاف فبقي عليه طول حياته . (٢) كنت ازور اصدقاء لي في قرية « عسفيا » على جبل الكرمل في فلسطين سنة ١٩٢٣ وبينما نحن في الحديث يشهده جمهور كبير قالوا لي بالامس كان عندنا صديقك الصحاف نجيب نصار صاحب « الكرمل » في حيفا . فانظر كيف نطقوا بها سليقة ونجيب نصار انشا جريدته « الكرمل » بعيد اعلان الدستور العثماني ١٩٠٨ وهو من اول المنبهين على الخطر الصهيوني . (٣) لا الطائرة .

عن « محيط المحيط » وكلاهما ليس بحجة . وكنت قد ذهبت انا ايضا الى ان الاستنتاج من مبتذل الكلام حتى ظفرت بنص لاعظم ناقد لكلام العرب وهو الحريري ، اذ وجدته يقول في المقامة السادسة عشرة وهي « المغربية »: « فتداعينا الى ان نستنتج له الافكار ... قال الشارح وهو ايضا ثبت من الاثبات : استنتج اي طلب الانتاج يريد الى ان نخرج هذه الكلمات من افكارنا » وكفى بهما حجة .»

ثم يجيب تيمور مختتما بالموافقة فيقول : « كلمة الاستنتاج لم آنس ممن ينكرها ، والسبب فيما كتبته اليك انني كتبت مقالة ، في الشهر الماضي عن « تاريخ العلم العثماني » وهلاله ونجمه ، ونشرتها في « الاهرام » ولعلك اطلعت عليها . فلما اطلع عليها احد الادباء انكر علي استعمال لفظ الاستنتاج لانه ورد فيها مرتين . هذا ما وقع ».

ـ قال الكرملي لتيمور في ٢٩آب ١٩٢٣ : اني لا اطالع الجرائد اليومية بل ولا المجلات ، الا ما يصلني منها مجانا ، ولهذا لا اعلم ما يكتب في « المقتبس » او « الاهرام » او نحوهما .

ـ قال تيمور للكرملي في ١٥ آب ١٩٢٣ : « وصل الخطاب فاودعت ورقة صديقنا سركيس في خطاب ارسلت به اليه . واوصلت المقالة للاستاذ صروف فرحب بها وطلب مني تبليغك سلامه واشواقه . ورايي انا في هذه المقالات انك متى فرغت منها ومن المناقشات فيها ان تجمعها في كتاب ترتب فيه الفاظها على حروف المعجم ، لتكون سهلة التناول ولتعم فائدتها ، لان بقاءها مفرقة وبلا ترتيب في المجلات مضيعة لها ، فعسى ان تفكر في ذلك ولا تهمله » . وعلق المحققان على هذا في حاشية الصفحة: « طبعت بعد ذلك بعنوان « اغلاط اللغويين الاقدمين » (مطبعة الايتام ببغداد ١٩٢٣) .

ـ قال تيمور للكرملي في ١٢ سبتمبر ١٩٢٣ : « اذا صادف سيدي صديقي العزيز الاستاذ « امينا المعلوف » فليتكرم بتبليغه سلامي واشواقي ، فقد علمت انه الان ببغداد » . وعرف المحققان المعلوف في الحاشية بقولهما: « هو الفريق الدكتور امين المعلوف المتوفي سنة ١٩٤٣ صاحب « معجم الحيوان » و « المعجم الفلكي » وغير ذلك من المباحث » .

ونقول : ان الدكتور امين المعلوف العالم العلامة ، والجامع المحيط ، من اقطاب علماء العرب في هذا العصر، الى اخلاق رضية ، وهمة في الدرس والتنقيب عليه، وكان من رواد حركة النشاط العربي الذي عرفته دمشق زمن ما عرفه التاريخ المعاصر « بالحكومة العربية » من خريف ١٩١٨ الى تموز ١٩٢٠ . وكنا في دمشق وقتئذ، وشباب العرب عليه المعول في البناء والانشاء . وكان « المعلوف امين » نجم التالق بموكب من الكفايات والمروءات.

وبعد دمشق انتقل الى بغداد وتولى فيها مناصب عالية منها مدير الامور الطبية في الجيش العراقي ، وكان عضو المجمع العلمي العربي بدمشق . والدكتور يعقوب صروف احد اصحاب « المقتطف » هو استاذ الدكتور معلوف « الروحي » ، فلما طبع معلوف كتابه « معجم الحيوان» في مطبعة المقتطف سنة ١٩٣٢ اهدى المؤلف كتابه هذا: « الى روح استاذي العلامة الدكتور يعقوب صروف ، اثارة من فضل ما علمني »، وبالاصل كانت مجلة«المقتطف» قد نشرت للمعلوف ابحاثه ودراساته المتعلقة بالحيوان وبالتالي جمع هذا كله وطبعه كتابا براسه وقدمته « المقتطف » « الهدية السنوية » الى قرائها . و «معجم الحيوان» اوثق معجم في بابه في العربية .

وفي نهاية الكتاب تعريف من المؤلف المعلوف بصديقه العلمي الاب انستاس الكرملي . فقال :

« الاب انستاس الكرملي عالم عراقي مشهور ، كان والده لبنانيا اما هو فعراقي المولد والنشأة . اخبرني بالامس انه اتم السادسة والستين من عمره . له مباحث جليلة متفرقة في مجلات كثيرة منها الصفاء والمقتبس والمشرق والمقتطف ، ثم انشأ مجلته « لغة العرب » وقد كان اول عهدي به ان قرات له مقالات في مجلة المشرق اخذت عنها ثم ارسل الي كتابا ضمنه رسالة سماها « نظر في معجم الحيوان » نشرتها تباعا في المقتطف في المجلد ٣٩ وهو لم يأذن في نشر اسمه في ذلك العهد ، وقد خيرني في نشر ما شاء فنشرت معظم ما كتبه ، وابقيت الباقي ثم وجدته بعد هذه السنين الطوال فنشرته في هذا الكتاب . ووقعت بيننا مناقشة في المجلد ٣٩ من المقتطف كانت مثالا للنقد النزيه ، والفضل في ذلك له وحده .

ـ كتب الكرملي الى تيمور في ٧ كانون الاول ١٩٢٣: وقد رايت ان المجمع العلمي ينكر استعمال «الظروف» بمعنى مقتضيات الاحوال ، وهو من باب المجاز ، فان الحوادث تتكيف بظروفها (او اوعيتها من باب المجاز) كما تتكيف السوائل بصور الانية التي توضع فيها . وقد وجدتها في كتب كثيرين من فصحاء المولدين ، فضلا عن المجاز لا ينكره .

وقد انكر المجمع ايضا » التحرير » مع انه شرح اللفظة نقلا عن دواوين اللغة ، ثم انكر استعمالها بمعنى الكتابة، وهذا امر عجيب . وقد استعملها صاحب « دمية القصر »، و « معجم الادباء » ، و « اللسان»، وهذا في عدة مواطن من ديوانه بمعنى الانشاء القويم المنقح الذي لا امت في معناه او مبناه ، فما يقول الصديق؟»

ـ وقال الكرملي لتيمور في ١٣ كانون الاول ١٩٢٣: «.... مسألة هوس الشعوبية وشغفهم بالالفاظ الدخيلة امر قديم . وهذا لا ينتهي الى تغلب حزب على حزب . فان هذه الخلة وجدت في بعضهم وسوف تبقى

في امثالهم الى ما شاء الله ، وهي من الاوهام التي تتغلب على اناس فلا يتحولون عنها ، الا انهم يجهلون ان نتيجة هذا الهوس هو الشغف باوضاع الاعاجم، ومن ثم بلغتهم وبالتالي بآدابهم واخلاقهم وتاريخهم والقضاء على العربي الذي لا يبقى منيعا الا بالذود عن اسواره وحصونه ، وهي اللغة ، وهي كلما تمحضت في قوم تمحضوا في قوميتهم وعزمتهم ومناعتهم وكان لهم التفوق على من يناوئهم ».

ـ اسعد خليل داغر اديب ناقد ، وله كتاب «تذكرة الكاتب » « يتضمن التنبيه على اهم الغلطات اللغوية الدائرة على السنة الخطباء واقلام الكتاب في هذه الايام» كما قال ، والفاضلان محققا « الرسائل المتبادلة » عرفاه (في ص ٧٠) بهذه العبارة : « هو اسعد بن خليل داغر، اديب ، لغوي ، شاعر ، صحافي ولد في لبنان وتوفي بالقاهرة سنة ١٩٣٥ » .

ولما وضع كتابه « تذكرة الكاتب » عرضه على احمد تيمور فنظر فيه ونبهه الى امور اشار اليها المؤلف في مواطنها من الكتاب . وزاد تيمور في الفضل بان كتب الى المؤلف رسالة من اربعة اسطر هي:

سيدي وصديقي !

قرات كتابك « تذكرة الكاتب » وانعمت النظر فيه امتثالا لاشارتك ، لا تطاولا للحكم في مثله . فاذا قلت انك اجدت وافدت واصبت كل الاصابة فيما قصدت فانما اقوله على ما ظهر لي ووصل اليه علمي وفوق كل ذي علم عليم .

احمد تيمور

ونشر المؤلف هذه الرسالةفي صدر كتابه بالزنكوغراف بعد مقدمة شكر لاحمد تيمور . وهذا الكتاب نشر سنة ١٩٢٣ وهو صغير الحجم في ١٥٠ صفحة ما عدا الفهرس والغلطات المنبه عليها اكثر من ٢٥٠ غلطة لغوية . فلما وصل كتاب « تذكرة الكاتب » الى الكرملي ، كتب الى صديقه الصفي احمد تيمور في ٢٣ نيسان ١٩٢٤ رسالة ضافية جاء في اوائلها (ص ١٩٦):

ارجوك ان لا تعود الى الاشغال الى ان تستجم القوى ويعود النشاط الى سابق امره . في ساعة كتابة هذه الحروف وصلتني « تذكرة الكاتب » وساءني ما قراته في صدرها قولك للمؤلف : « فاذا قلت انك اجدت وافدت واصبت كل الاصابة فيما قصدت ... »

« ونا اراه قد اخطأ اكثر مما اصاب ، وتخطئته للناس على غير هدى ، وهو في عمله هذا قد جرى اثر ابراهيم اليازجي وغيره ممن ظن ان مفردات اللغة كلها مدونة ، في المعاجم ، وان قواعد كلام العرب محصورة في كتب النحاة . وهذا ضلال مبين . فان اللغة العربية اوسع من ان تحصى ، وقواعدها اجل من ان تقيد بقيود.

« فمما انكره المؤلف كما انكره اليازجي وصاحب « المقتبس » واسكندر عيسى المعلوف « حرر» وهو فصيح لا غبار عليه . وكذلك(طور وتطور)و«تقنين» و «زهور ». ومثلها كثير ، مع انه ورد في كلام الفصحاء الاقدمين والمولدين ، وقد ورد في الدواوين في غير مظانها ، الا ان هؤلاء المخطئين لم يقعوا عليها في مواطنها من المعاجم فتقوّلوا ما شاءوا .»

ثم قال من مزيد : « وكنت قد الفت كتابا ارد فيه على ما ذكره اليازجي من الاوهام (٤)، وكنت عرضته على صاحب المشرق فهابه الموقف وابى ان يطبعه ، ولم اذكر فيه الا ما نطق به العرب ، لكن ما الحيلة والذرائع التي بيدي ضعيفة لا تمكنني من تحقيق الاماني ، « تجري الرياح بما لا تشتهي السفن ».

« وعلى كل حال ان كان اسعد خليل داغر يتعهد لي بنشر نحو عشر صفحات من ردي عليه في « المقتطف » ، فاني اكتب له بعض قواعد عامة لابين له فساد كثير من الالفاظ التي برد بها على الكتاب او ينكرها عليهم . نعم ، اقول ولا ازال اقول ان الافصح ان يقال كذا ولا يقال كذا ، لكن لا غلط لمن يقول كذا » او كلام الكرملي .

ـ هذا ما جعلناه من النماذج العالية المستوى من « الرسائل المتبادلة » بين الكرملي وتيمور ، ونكرر شكرنا ونوكده ، للمحققين الفاضلين الاستاذ كوركيس عواد والاستاذ ميخائيل عواد ، على ما بذلاه من جهد دقيق ونظر انيق في تحلية هذه الرسائل عند نشرها ، بكل ملاحظة وشرح يجلوان الغامض بسناء الوامض . ولعمري ان هذا الكتاب فريد في بابه ، من بابه الى محرابه، وذه طرافة ، وجد ، ودقة ، وفائدة ، وادب مراسلة ، ...د فمحوض، ، فكما ان الكرملي وتيمور اعطيا من علمهما شيئا كثيرا وسقيا العرب ماء نميرا ، كذلك طرحا نفسيهما نموذجا ساميا من الجمع بين العلم الرصين، والخلق العالي الرضي المتين ، وترى في رسائلهما البحر رهوا ساجيا ، والنسيم عليلا ، وندى السحر حبيبات لجينية في رياض « كرمليه » تيمورية ، رحمهما الله الرحمة الواسعة .

رأس المتن ـ لبنان

عجاج نويهض

(٤) هنا علق المحققان في الحاشية ما يلي : « هذا الكتاب هو « النغم الشجي في اغلاط الشيخ ابراهيم اليازجي » ولم يطبع نسخته الخطية في دير الاباء الكرمليين ببغداد . راجع كتاب «الاب انستاس ماري الكرملي : حياته ومؤلفاته » (ص ٢٣٩ : الرقم ١٣٩٧).



وحيد الدين بهاء الدين

سامي الكيالي كما عرفته

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

في ضحى خريفي من عام ١٩٤٨ وفي بداية عام دراسي جديد ، دخلت وزميل لي ـ وكنا بالصف الخامس الادبي ـ مكتبة مدرستنا : ثانوية كركوك للبنين ، نستجلي شوامخ المؤلفات والاثار وقد تلاقت فيها تيارات الحياة وتباعدت ونستقرأ عبر مسارها مواقف الانسان واتجاهاته، ونستمتع من خلالها بما تعاور على الخليقة والطبيعة ... الزمان والتاريخ من هزات وثورات ..

انتزع زميلي على قصد منه قاموس « مختار الصحاح » من مرقده ، مقلبا صحائفه .. غائصا الى اعماقه ، بينما سحبت على غير قصد مني كتيبا من رف احدى الخزانات الهائلة القائمة ، لكأن صوتا اتيا من الداخل اهاب بي ان امد له يدي .. وهتفت من وجداني كما لو كنت طفلا يتصرف بتلقائية .

فاذا عيناي تقعان على صورة تخطيطية للدكتور طه حسين الى جانب اسمه ، واسم مؤلف عنه في يقيني انني لم اقرأ له ولم اسمع به من قبل .. اعرف طه حسين وقد شغفت بادبه ولعا منذ وعيت ذاتي الظامئة الى عيون المعرفة . ولكن من يكون هذا الذي يتحدث عنه ، وهو الدكتور اسماعيل احمد ادهم .. اسم لم يسبق لي به عهد ..؟!

وكان ما كان .. فقد اخذت الكتيب الى بيتي ... كذلك اخذ زميلي « مختار الصحاح » الى بيته ..

ثم وجدتني اسأل هذا وذاك عن اسماعيل احمد ادهم ..ما حكايته ؟ من اين ؟ كيف ومتى .. ؟واذا الاجوبة تتوارد شتى ، يناقض بعضها البعض ..

ولم هاتيك السؤالات ، والمقدمة بين يدي ؟ وهو كذلك .. لكن لست متغابيا الى هذا الحد . انما صرت افتقر الى مزيد من التطلعات . كانت مقدمة سامي الكيالي عن اسماعيل ادهم وكتيبه (١) قد دعتني الى البحث عن هذا العبقري ، وظروفه الموضوعية والى الحرص على مطالعة انتاجه واثاره كما حرضتني على الاتصال بالكيالي نفسه لامر اخذ يشغل لتوه بالي .

هنا حررت اولى رسائلي الى الكيالي في مستهل الخمسينات وانا يومئذ واقع في اسر التشاؤم والقلق .. وترادفت الايام ثم استقر بين يدي جوابه الذي يشيع المسرة والتفاؤل في وجودي ويطرد سود الافكار من حوالي .. وفيه يقول : « على م هذا التشاؤم الذي تفكر فيه وانت شاب في مستقبل الحياة . ان التشاؤم ضعف يا عزيزي . وما اظن مثلك وفيه هذه النزعات يقرأ ويفكر ويتصل بالادباء ـ ما اظنه من اوائك المائعين الذين ينهارون من اقل صدمة فتشجع وتغلب على اعباء الحياة وواجه الدنيا بثغر باسم وجنان قوي . واكتب لي دائما فستجدني الاخ الذي يعتمد عليه ».

هكذا كانت البداية لطيفة باعثة على الهدوء والتشوف والانفتاح .. اذن ارتيادي افاق طه حسين الفكرية منذ عهد الشباب الاول افضى بي الى عالم اسماعيل ادهم . وهذا بالضرورة كان همزة وصل بيني وبين سامي الكيالي .. كم حري بنا ان نتذكر دواما ان المصادفات غالبا ما تلعب ادوارا حاسمة في حياة الافراد والجماعات ..

في خريف عام ١٩٦٢ حضر الكيالي الى العراق عضوا من اعضاء الوفد السوري الرسمي للمشاركة في مهرجان بغداد ـ الكندي .. فتحينت الفرصة لاراه واجالسه بقدر ما يتاح لي ، استعادة لذكريات فائتات وتجديدا لانطباعات نقشت عبر هذه السنين على صفحة الذهن المثقل . ما كان علي الا ان استقل اول قطار صاعد من مدينتي : كركوك ميمما العاصمة .. حيث كان لي مع الكيالي اكثر من لقيا على اسلاك الهاتف ..

ثم رأيته ذات صباح جالسا في الصفوف الامامية من قاعة (الشعب) يحاور بعض زملائه وينتظر كغيره ابتداء المحاضرات والمناقشات . فسعيت اليه مسلما .. مرحبا ، واذا السرور بمقابلتي له كبير ، والشكر على تجشمي عناء الرحلة من كركوك جزيل .

فسح لي المكان فاستويت لصقه ، نستل من الماضيات اوراقا ، ونجدد عهد الاخاء والولاء .. ثم عرفني الى ابن عمه الباحث والطبيب الدكتور عبد الرحمن الكيالي ، احد

---

(١) هذا الكتيب يتضمن دراسة مركزة ومستقلة عن (طه حسين) في اربع وخمسين صفحة من القطع الكبير .. اصدرته مجلة «الحديث» الحلبية لصاحبها سامي الكيالي ، في نيسان عام ١٩٣٨ .

اعضاء الوفد السوري ، ذاكرا له : انني من اصدقائه الاعزاء عليه ، وانني كنت من كتاب مجلته « الحديث » الدائمين . وما عتم ان اهدى الي الرجل نسخة من محاضرة له مطبوعة عن « الكندي ونهضة العرب في عصورهم الذهبية » وقد اعدها للمهرجان ، فتقبلتها بقبول حسن .

حينذاك كانت بيدي نسخة من صحيفة « العهد الجديد » لزكي احمد وعلى صفحتها الاولى قصيدة حافظ جميل في مهرجان بغداد ــ الكندي ، حيث القاها قبل يوم واستمعت اليها بنفسي ، وبها يقول :

لغيرك يا بغداد لم يهف جانحي ولا شاقني في غير ظلك ان اشدو
ولا طاب لي في غير دجلة مرتع ولا لذ لي في غير شاطئها الورد
اذا حل بي ضيم فعفتك مكرها رجعت وادهى الضيم ما ضامني البعد
وكيف اصطباري عن حنان ربيبة سريراي في احضانها القبر والمهد
اجوب من الاقطار اندى بقاعها وشخصك لي ظل وحبك لي زاد

ود الكيالي ان يتلو القصيدة منشورة ، فقدمتها اليه ، ثم قال : ما اروع هذه الخريدة البحترية ! على انه استأثر بالصحيفة ثم قام يستأذن لارتباطاته على امل اللقاء في موعد اخر ..

وفي ذات يوم جرى بيننا الاتفاق على لقاء قريب في فندق بغداد ، ففيه كان نازلا ..

لما حان الوقت المحدد كنت ــ ومعي زميل ــ اسأل استعلامات الفندق عن الكيالي ، لترد علي بانه غير موجود ... وكانت دهشة !

ثم عاد الكيالي الى حلب دون ان القاه حتى على الهاتف .. فقد حز في نفسي ان يتصرف معي ومع زميلي مثل هذا التصرف ثم لايعتذر عنه ؟ وهل له عذر ونحن نلوم ؟ لكني كعادتي لم ادع الامر يمر دون اثارته ، فكتبت اليه معاتبا .. مغاضبا .. وبسرعة ظاهرة ادركني جوابه : « وقد تألمت كل الالم لتلك الهفوة غير المقصودة وقد عرفت ولا شك عوامل تلك الظروف التي جعلت اوقاتنا ليست طوع ايدينا . وقد فاتني ان اجتمع بالكثيرين من خلص اصدقائي وكنت جد حريص ان التقي بهم وان نتحدث طويلا ولكن تلك الظروف القاسية قد حالت دون ذلك . وانا اعتذر اليك .. وارجو مخلصا ان تسمح الظروف القريبة للقاء طويل في سورية او في بغداد .. » .

وفي مطلع عام ١٩٦٦ اتفق ان جاء الكيالي مع صحاب له من بعض ادباء العروبة وشعرائها الى بغداد للمشاركة في احتفال تأبيني اقيم بها وقتذاك . فاتيحت لنا لقاءات حفلت تارة بمختلف الاحاديث والطرائف في قضايا الفكر والادب والاجتماع وتارة اخرى بالتعريج على شاطىء الذكريات وقد اودعها الزمن ضميره النابض .

كان الكيالي كأديب وصحفي وبالتالي كانسان مفتوح الفؤاد ، يستشرف العالم باجوائه واهوائه ، داعيا الى التجديد والمعاصرة في الحياة والفكر ، وهادفا الى الحرية والامانة والايجابية في العلاقات الشخصية بين الادباء والمثقفين ..

ويوم اتصلت به كنت احبو على وجهي بحيرة لا اتبين دربي ، تتلقفني الامواج من كل طرف ، حيث شجعني الكيالي بما ملك ووطأ طريقي برسائله الادبية وهي تضع اللبنات في اساس الصداقة التي بيننا وتضرم في كياني جذوة الشوق والتفتيش عن كل شيء .. وجعلت كتبه تترى علي هدايا جميلة ، في حين بدأت اعداد مجلته « الحديث » تبلغني بلا انقطاع .. انما كانت رسائله الي متواترة مكثفة .. بينما رسائلي اليه متتابعة مطولة .. لعل مرده الى انهماكه في مشروعاته الادبية واعماله الصحفية ، وهي تمتص حيويته وتنهب اوقاته . وانا بطبعي ــ لاقلها بصراحة ــ لا ارتاح الى مثل هذا السلوك في معاملة الاصدقاء ولاسيما الاقربين .. لطالما عبرت للكيالي عن شعوري الخفي سائقا اليه عتابي على تقصيره او اهماله في ما يحصل ، واكثر من ذلك في ما يثيرني .

بيد انه كان يخلق لنفسه الاعذار ويلتمس ايضا ان لا ارى في ذلك كله سبيلا الى جفوته وقطيعته . وبهذا يقول : « واكتب لي دائما ولا تتخذ من اهمالي وسيلة لقطع مخابراتك التي المس فيها صفاء القلب وحب المعرفة ودمت زهرة عبقة في روضة الادب » . كذلك يقول في رسالته المؤرخة بالعاشر من كانون الثاني ١٩٧١ : «واعتذر لاهمالي احيانا الرد على رسائلك حين تلقيها فقد اكون مسافرا وما اعرف اني اهملت الرد على رسالة صديق ولاسيما الذين يهتمون بشؤون الادب .. » .

وشجعني الكيالي بما افاض علي من افضال على نحو يستحيل نسيانه او انكاره . فقد اوسع لانتاجي الادبي مرحبا ، ناشرا لي على صفحات مجلته الرائدة « الحديث » عديدا من مقالاتي واقاصيصي وفصولي الخاصة ببعض ادباء العراق والعرب والترك .. منذ عام ١٩٥٢ حتى توقفها في بواكير عام ١٩٥٩ .. حتى انه كان جم الثناء موصوله على ما انشر عنده ، بحيث حفزني الى المثابرة على الانتاج والتطلع .. انظر اليه ماذا يقول عن الفصل الذي ارسلت به اليه عن الشاعر الوجداني : حافظ جميل في رسالته المؤرخة بالخامس من نيسان ١٩٥٨ : « فاني اهنئك فالدراسة جيدة وقد نفذت الى اعماق نبضات الشاعر فعرضتها وصورتها اجمل تصوير .. » .

من هنا كان الكيالي يستغل الفرص لاظهار رضاه ولا اقول اعجابه بما انشر من مباحث واصدر من كتب.. كان يفعل ذلك كله بطيب خاطر كلما وجد الى ذلك سبيلا، آخذا بيدي الى الامام وانهاضا بشأني الادبي والفكري الى الذروة . فقد كان هناك اكثر من دليل على هذا كله ..

اعرف ان الكيالي كان ملما بالادب التركي ثم مترجما لبعض من روائعه ، وحين اهديت اليه نسخة من كتابي « اعلام من الادب التركي » بعث الي برسالة قال فيها : « ووصلتني منذ أسبوع رسالتك « اعلام من الادب التركي» وقد قراتها كلها وكنت موفقا كل التوفيق في تاريخ هؤلاء

الاعلام وترجمة نماذج من شعرهم باسلوب في غاية الدقة وقد لفت نظري خلو الرسالة من دراسة عن الشاعر الاعظم عبد الحق حامد وهو من الشوامخ ولعلك لا تهمل هـذه الدراسة في الطبعة الثانية من الرسالة .. » .

اما كتابي « في الادب والحياة » فقد عقب عليـه بالاتي : « وقضيت معه لحظات حلوة استمتع بادبكم النابع من صميم الحياة وتعجبني تأملاتكم الانسانية وآراؤكـم الحصيفة في معالجة مشاكل المجتمع ولاسيما ما لهـا اتصال بالنزعات المادية الصارخة التي تفسد المثل العليا وليس كالاديب انسان يرصد هذه الظاهرات ويسجلها بشعور صاف وروح يقظة .. » .

ثم كان لصدور كتابي عن « الدكتور مصطفى جواد : **فيلسوف اللغة العربية** » صدى ايجابي في ذاته . انمـا علق عليه بعد الامعان في قراءته عـلى صفحـات مجلـة « **الاديب** » اللبنانية ذلك التعليق الشافي ، بالرغم من ما ورد فيه من عبارة ـ ربما كانت جارحة ـ تمسه مسـا ، جاءت على لسان الدكتور مصطفى جواد في احدى رسائله **الادبية الي** . فقد ذكر فيه الكيالي : « اكرر لك شكـري واقدر جهدك في رصد التيارات المعاصرة التي تعطيهـا **الكثير من ذوقك وادبك** . فما زلت تتحف قراءك بالطريف .. الطريف من دراساتك . وفقك الله ودمت في احسـن حـــال .. » .

وجاء دور الكيالي لان اقول فيه كلمة حق ووفـاء لتوليه وزملائه اقامة صرح الادب المعاصر على اركان من التجديد والحرية الفكرية والمناعة الثقافية . حيث كتبت عنه في حزيران ١٩٥٦ بحثا مستفيضا نشر في حلقات على صفحات جريدة « لواء الاستقلال » البغدادية . وما ان اطلع عليه الكيالي حتى اسرع يكتب الي قائلا : « قرأت الدراسة وهي تصوير واضح لملامح من حياتي . **فاشكرك واقدر ادبك** وربما كنت الوحيد الذي ظفر بهذه المعلومـات وانا عزوف عن هذه المظاهر وقد مرت حياتي بالعمـل الصامت وان كنت اشعر في قرارة نفسي انني لم اعمل عملا ادبيا ذا قيمة خالدة اللهم الا وفائي للنزعات الفكرية الحديثة وصمودي لنشرها » .

هذا وكتب الي الكيالي في عامه الاخير رسالةمفصلة تطرق فيها الى هموم واهتمامات كثيرة وضمنها ما اعتاد ان يسوقه الي على الدوام . فقد قال : « واني اتتبـع نشاطك الادبي ومعالجتك الموضوعات التي تتصل بصميم حياتنا الفكرية . وميزتك انك لا تقتصر على ما ينشر في القطر العراقي الشقيق بل يتجاوزه الى الاقطار العربيـة الاخرى وهذه ميزة قل ان تتوفر للكثيرين . فبورك بـك ومتعك الله بالصحة ليزداد انتاجك .. » .

وفي مطلع عام ١٩٥٧ قام الكيالي وافراد من اسرته برحلة بالسيارة من حلب الى بيروت . لكن القدر كـان يحدق بهم .. شاء انتنقلب بهم السيارة بالقرب من بعلبك مما اودى بحياة نجله « مختار » واحدث كسورا ورضوضا عنده وعند الاخرين .. فقد كانت فاجعة بارحة . والادهى ان تموت زوجته هما وكمدا لتلحق بابنها الشاب بعـد ثمانية اشهر . هنا اردت ان اعزي الكيالي بكلمة لعلها ان تخفف لوعته ولو ببعض الشيء ، هذا نصها : « قبل قليل، تناهى الي نبأ المصاب الفادح الذي الم بك . ويا لهـول ما تناهى !! فقد اكتنفتني قشعريرة الاشجان وغمرتنـي موجة الكآبة الخرساء . فطارت النفس شعاعا . فتأثرت. وبكيت بعيون روحي . وما كانت الدموع الا جامدة لا تبغي حـراكا . خرساء لا تريد الانسلال .. قال جبـران : اذا عظمت اللوعـة صـارت خرساء ..

انها لخسارة . انها لفجيعة . انها لمأساة .. لا اعرف ماذا اقول ؟ وماذا اكتب ؟ وقد انعقد اللسان لا يعـرف النطق ، وتعثر القلم يأبى المطاوعة . انه لخطب جلـل . افزعني حقا واحزنني .. ولا يضاعف هذا الالم المبـرح الا لفظ (الشباب) .. الشباب بنضارته وحيويته ... بجماله وجلاله .. بتطلعه وتشوفه .. انه الموت المحتـوم .. انــه الوعد الحق !

احباي او غير الحمام دهاكمـــو عتبت ولكـن مـا على الموت معتب

فالموت هذا الجبار غاية كل حي . وطريق كل انسان .. كل نفس ذائقة الموت . فلا ندحة عن الاستسلام لمشيئة الله العلي القدير الذي لا يحمد على مكروه سـواه . ولا ندحة عن الاذعان لما اراده القدر .. هذا الذي تقصر دون ادراك سره الرهيب الافهام .. قليلا من الصبر ايهـــا الاستاذ ؟ رفقا بنفسك .. وانا لله وانا اليه راجعـون . اقاسمك الهموم واشاطرك الاحزان .. ومالي الا هذا .. امطر الباري على الفقيد الراحل شآبيب الغفرانوالرحمات الوسيعات .. واسكنه فسيح جناته والهمك والاسـرة الكريمة الصبر الطيب والعزاء الجميل . واسبغ عليـك وشاح العافية والخير وانار طريقك مدى الحياة .. »(٢).

في يوم ١٧ـ٢ـ١٩٧٢ انتقل الكيـالي الى الرفيـق الاعلى ...

ثم ادركتني رسالة من الاديب الاستاذ خليل الهنداوي مؤرخة بـ ١ ـ ٤ ـ ١٩٧٢ يدعوني فيها للمشاركة فـي الحفل التأبيني الذي تقررت اقامته للكيالي في ٥ ـ ٥ ـ ١٩٧٢ ، غير انني اعتذرت له ولاعضاء لجنة التأبيـن ملتمسا قبول اعتذاري ومشعرا اياه في الوقت عينه بانني نهدت لكتابة فصل مسهب عن الكيالي (٣) وقررت ايضا ان اكتب في ما بعد مقالا اتناول فيه انطباعاتي وذكرياتيعنه .

عني الكيالي بالادب المعاصر من حيث معالجة قضاياه العامة ضمن اطارهالمحدد ، فدرس تياراته ومؤثراتهـا واقطابه ومذاهبهم ، ادراكا منه بان الامة العربية لا تملـك

(٢) انظر مجلة « الحديث » عدد مايس عام ١٩٥٧ .

(٣) انظر مجلة « الاديب » اللبنانية عدد تموز عام ١٩٧٢ .

سعيت ابني لقومي

فائق جبور

عاد الزمان فاسعد ‏ ‏ وعدت والعود احمد
الى امتشاق يراع ‏ ‏ به الصلاح تأيد
فما انتضيته يوما ‏ ‏ الا لابلغ مقصد
واي قصد اراني ‏ ‏ اسعى اليه واجهد
سعيت ابني لقومي ‏ ‏ مجدا اثيلا وسؤددا
فما تبلغت شأوي ‏ ‏ والعمر معه تبدد
مللت رصد الاماني ‏ ‏ في هيكل الوحي اوحد
اقيم للشعر مغنى ‏ ‏ في كل صرح ، ومريد
فكم هنالك نظم ‏ ‏ به الحنان تفرد
ابكي الشام بقلب ‏ ‏ دام وطرف مسهد
قد ساء بعده عيشي ‏ ‏ والعيش ان ساء يزهد

القدرة على مواجهة العالم الغربي المثقل برصيده الضخم من الاداب والفنون والعلوم ـ لندع هذه الاخيرة لعجزنا دونها ـ الا بما لديها من الميراث الحضاري العريق وما يمكن ان تضاف اليه من ابداعات ومضمونات جديدة تتجدد وتخصب وتعطي افضل الثمار ، ومن روائع وقيم ذات اصالة وديمومة تثبت امام الغزو الاجنبي الجديد ، على مرور الاجيال والازمنة المتتالية .

من اجل هذا فالكيالي وان طرق جوانب عامة من الادب العربي المعاصر في جميع اقطاره وامصاره ، بما قدر له ، فانما ركز عنايته ـ وهذا حق ـ على الادب المعاصر في سورية .. لقد الف فيه كتابا شاملا طبع مرتين ، بتكليف من الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية.

ثم ظهرت منه مبادرة في وضع كتاب مماثل عن الادب المعاصر في العراق .. اذ عقد العزم عليه ، راغبا في اتمامه مستعدا له بكل طاقاته ، يعززهما ما له بعدد من ادباء العراق وشعرائه من آصرة وعلاقة ..

فقد الح الى ذلك في رسالته المؤرخة بـ ٢٢ ـ ٣ ـ ١٩٧٠ بقوله : « كتابي عن الادب في العراق قد خططت له ولم اباشر بالموضوع للكثير من المفارقات وعلى كل فلن اهمله وامل ان اتفرغ له قريبا .. » .

ودارت الايام ولم اعد اسمع شيئا عن ما ازمع عليه الكيالي وقرر ان يتولاه .. وما انفككت به حتى ترامت الي رسالته المؤرخة بـ ١٠ ـ ١ ـ ١٩٧١ : « قصة التفرغ لكتاب عن الادب العراقي خالجني منذ سنوات على ان اقضي بضعة شهور في العراق اتصل بالادباء والشعراء والمفكرين وكنت كاشفت بعض الاخوة . ونشر الخبر وهذا لم ارده ، ومرت الايام وزحمتني الاعباء وتبخرت الفكرة او كادت ولاسيما بعد ان علمت ان اديبا عراقيا تفرغ لهذا العمل ـ ولا اعرف من هو ؟ كما صدرت عدة رسائل وكتب عن ادبكم المعاصر ، وهي من القيمة بمكان والعراق مليء بذوي الفضل وباعلام الكتاب والمفكرين وقد استوت النهضة الادبية في العراق على قدميها وهي تعطي الكثير من النفحات العبقة والثمرات اليانعة ... » .

واهم من هذا الذي يسوقه الكيالي ، نقرا ما كتبه الدكتور طه حسين في مقدمة الطبعة الثانية من كتاب « الادب العربي المعاصر في سورية » للكيالي : « فقد اهدى الينا كلنا ـ يعني الكيالي ـ كتابا نافعا كل النفع ممتعا كل الامتاع عن الادب السوري المعاصر .. وقبل وصول هذا الكتاب الي وصل الي كتاب آخر من صديق عراقي عن الادب المعاصر في العراق .. فهذه اذن طائفة جديدة من الكتب بداها الصديقان الكريمان عن الادب المعاصر في قطرين شقيقين كريمين علينا اثيرين عندنا . وهما سوريا موطن الدولة الاموية والعراق موطن الدولة العباسية ... » .

تلك بواعث قوية زهدت الكيالي ، بعد التهيؤ والتخطيط ، في تأليف كتابه عن « الادب العراقي المعاصر » وجعلته يتنصل من ما اذاع واشاع ، ويتوسل باعذار منطقية . مقنعة ..

ولكن ، يا ترى ، من يكون الباحث العراقي هذا الذي تفرغ لمهمة مضنية كهذه كما اشار اليها طه حسين قبل الكيالي ؟ واين هو كتابه بالرغم من مرور اكثر من خمس سنين ..؟ مع هذا فلننتظر ..

بغداد ‏ ‏ **وحيد الدين بهاء الدين**

حسبي من الدهر اني   ما زلت بالاهل موجد
اهوى بلادي واهوى   فيها الربيع المورد
فكم هنالك ذكرى   على الزمان تخلد
لقد تصبرت حتى   رأيت صبري ينفد
هلا لنفسي يوما   في موطن الاهل مرقد
ام هل لجفني المدمى   من عبرة له تجمد

نزلت ما بين قوم   هيهات ان دمت اسعد
ما رحت اقرع بابا   الا وجدته موصد
وما سعيت لامر   الا والفيت حسد
ناديتهم ، ما استجابوا   كأنما القوم هجد
فاين مني كريم   به السماح تجسد
ان شام امرا تغاضى   عن كل امر يفند
او راء يوما حزينا   قد سيم عسفا تأسد
لقد شجاني عتي   علي يوما تمرد
اراد ذلي فارغي   بما اراد ، وأزبد
ايزدريني وقلبي   عن كل شر توحد
وللوقيعة ينضو   علي سهما محدد
لقد تعمد خسفي   يا ويح ما قد تعمد
فهل تصدق دعوى   من للضلال توحد
أم هل اجادل اعمى   عن الصواب تشرد
وكل ذنبي انبي   في حلبة الحق مفرد
فما تدرجت الا   على الطريق المعبد
رفعت للشعر بندا   على البيان تشيد

اليك يا ذاك عني   وصن لسانك تحمد
حسبي فخارا يراع   في حب قومي تجند
فبالوفاق تنادى   والسلام تعبد
ابكيه عزا تولى   ارثيه مجدا تبدد
ما قلت شعرا لاخشى   في الحق سيفا يجرد
ولا لارهب سهما   الي جهلا يسدد
العرب طاب انتسابي   وبالعروبة اشهد
لا للتفينق اعنو ،   ولا لمن قد تهود

اذا بحقك ذنب   قضى علي لاحقد
فرحت لا خدن حولي   والخدن بالخدن يشتد
ولا صديقا اليه   أسر امرا تجدد
حتى تبادر شهم   على الوفاء تعود
رسول خير وهدي   به الندى يتمجد
ابى اباؤه اذ ذا   عن الاساءة يهجد
فهب يدرأ كيدا   به الصلاح يهدد
عبد الحميد وانعم   بما اليه تجرد
لينصر الحق ممن   عليه بغيا تمرد

الارجنتين   فائق جبور

كان المنزل الذي قرعنا بابه ليـلا ، ونحـن نجوس وسط خرائب السويس احسن حالا من كثير من بيوتها ومدارسها ومساجدهاوكنائسها التي تهدمت وصارت اكواما مـن الحجارة بفعل غارات الطائرات وقنابل المدفعية الاسرائيلية . لقد تهـدمت الطوابق العليا من هذا المنزل وبقيت بعض الحجرات سليمـة بالـدور الارضي .

اطلت علينا سيدة متشحة بالسواد، وعندما شاهدتنا نحمل محفة يرقد فوقها زميلنا الجريح ، ادخلتنـا في حجرة الاستقبال .. وتلك كـانت الوحيدة التي احتفظت بسقفها اذ كان يلاصقها حجرات امتدت بعض الكتل الخشبية عبر حوائطها المهدمة .

انها حجرة متسعة .. ولمحـت نافذتين من خلال الضوء الخافـت الذي كان ينبعث من مصباح بترولي موضوع فوق معزف ضخم . كـانت الالواح ــ الزجاجية مهشمة وخلفها ضلف خشبية مغلقة ومغطاة بـورق مقوى ازرق اللون . وتناثرت بعض قطع من طلاء السقف . رغم ذلـك فالمرء يشعر داخل هـذه الحجـرة بالسكينة والهدوء وخاصة بعـد المعارك العنيفة التي خضناها جنبـا الى جنب مع افراد المقاومة الشعبية على مشارف المدينة ذودا عنهـا ، فرددنا العدو على أعقابه . وسيظل الرابع والعشرون من اكتوبر عيـدا للسويس .

القيت نظرة صوب زميلي الملازم في الشرطة رفعت .. الذي اشارت السيدة الى زملائي ليرقدوه فـوق الاريكة القابعة في الجانب الايسر من الحجرة ، وعاونتنا في عمـل بعض الاسعافات الاولية له . كان وجهـه داكنا يضرب الى الزرقة .. وقـد لطخت الدماء قميصه وشعرت بدبيب الخوف يسري في اعماقي عندما ادرت عيني بين الرجل الجريح والمعـزف الضخم الجاثم قبالته والذي بدا لي وسط اللهب المرتعش كتابوت ضخم من البازلت الاسود يضم مومياء مـن احداث اجدادنا القدماء .

جلست مع الملازم ايمـن بجـوار رفعت الذي راح في اغفاءة بانتظـار وصول الطبيب .

وفي هذه الاثناء علمنا ان السيدة ايفلين جرجس ، صاحبة المنزل ارملة كانت تعمل مفتشة للموسيقى بوزارة التربية والتعليم واحيلت الى المعاش هذا العام ، وآثرت البقـاء بمسقط رأسها . وقد استشهد ولـدهـا الوحيد في ليلة الثامن من اكتوبر . وقصت علينا في فخر واعتزاز انـه غطس مع مجموعته من المقاتلين تحت الماء ، وقام بتثبيت الالغام حول حفار بلاعيم ، وهو اكبر حفار في منطقة



بقلم غبريال وهـبه

البحر الاحمر ، وتبلغ قيمته خمسة ملايين من الجنيهات ، لحرمان العدو من استغلال بترول سيناء ، ولكـن نظرا لارتفاع المد في هذا المكان ، فقد جرفه التيار مع زملائه بعيدا عـن العوامات التي غادرت المكان قبـل الوقت المحدد لتفجير الالغـام ... فعادوا سباحة فاستشهد بعضهـم برصاصـات رشاشـات طـائـرة هليكوبتر معادية .

ها هوذا الطبيب يصل اخيرا ، وشرع يفحص صديقنا بعناية ،واخذ ينصت لضربات قلبه من خـلال مسماعه الطبي ، وقام بفك الضمادات ثم اعادها ثانية .. واذا به يهز رأسه لقد فهمت ما يعنيه .. ولم يلبث ان انتحى بي جانبا وقال لي :

ــ الامل ضعيف جدا .. اوهى من خيط العنكبوت .

قامت السيدة ايفيلين باغـلاء المحقن وغرز الطبيب ابرته مرتيـن احداهما في العضل والاخرى فـي الوريـد .

ــ لا ارى داعيا لنقله من هنا ... فالامر سيان .. سواء هنا او هناك .. وسأظل معكم هـذه الليلـة ، فنوبتجيتي بالمستشفى ميعادها فـي صباح الغد .

فشكرناه وجلسنا تدور عيوننـا تنظر الى ما حولنا فتنخفض حينا الى الجريح الذي يرقد بيننا هـامـد الحركة كأن ليس له حظ من حياة ، وترتفع حينا الى ذلك المعزف الضخم الاسود الذي لا ادري لماذا لم ارتـح لمرآه وتوجست منه شؤما ونحسا . كان المصباح فوق احـد اركانـه ، تتراقص ذبالته وهي ترسل بضوئها الاصفر الباهت الضعيف فتلقـي بظلال رهيبة تهتز وسط السكـون الذي جثم على المكان . ولم نعد نسمع شيئا خارج الدار ، وسكتت اصوات المدافع التي كانت تأتي الينا مـن بعيـد .

مرت بضع ساعات كنا نقاوم فيها الكرى وهو يداعب اجفاننا . وعلـى حين غرة جاءنا صوت رفعت حـالمـا وبدا لنا كأنه قادم من بعيد .

ــ اما زلت معنا يا استاذة ايفيلين!

شعرنا بالفزع واجابته صاحبة الدار :

ــ نعم . مع الملازمين صفوت وايمن .. اية خدمة ؟!

ــ يا استاذة ايفيلين.. لقدسمعتك تقولين انك كنت تعملين مفتشـة موسيقى ..

ثم اردف رفعت قائلا بصـوت خافت :



– اريد .. اريد .. اتسمعينني؟

– نعم .

– اريد ان تجلسي الى المعزف ، واسمعيني قطعة موسيقية ..

ثم سألها :

– اوتفعلين ؟

قالت السيدة :

– ولم لا ؟!

فقلت لرفعت وانا احاول ان ابدو متماسكا :

– ليس الان يا رفعت . فانت في اشد الحاجة الى النوم ..والصباح رباح حيث سنسمعك كل ماتتوق اليه من قطع موسيقية .

– لن ارى وجه الصباح !

فتصاعدت اصوات الاستنكار منا جميعا ، وقلت له :

– دع عنك هذه الاوهام .

– استمع الي وارجو الا تقاطعني يا صفوت . وانتم جميعا انصتوا الي ! لي شقيقة وحيدة في القاهرة .. الانسة ابتسام . انها حورية ذات حسن رائع ، وجمال فتان ، وحس مرهف ، انها تقطن في دار شبيهة بهذه .. ولديها ايضا معزف ضخم كهذا . انها تعزف اعذب الالحان في ليالي الشتاء . نحن هنا اربعة او خمسة والضوء واه ضئيل .. فلتعزفي من اجلي يا استاذة ايفيلين! سوف اراها . سأعود مرة اخرى الى داري .. وسأكون معها . اعزفي شيئا مما تعزفه . سأخبرك ماذا تعزفين . افعلي هذا من اجلي . وارجو الا اكون قد اثقلت عليك . اوتستجيبين لرجائي ؟!

ارتجفت ابداننا والطبيب يتمتم :

– لا ضير ! فلتعزفي .. ليس هناك بارقة امل على الاطلاق .

نهضت السيدة وفتحت المعزف ، فقال لها رفعت وهو يلهث :

– شكرا . تعالي لاصافحك .انك ام نبيلة . والان اعزفي لحن « بلادي بلادي » لفناننا الخالد سيد درويش.

انبعثت نغمال المعزف غريبةرهيبة وسط الحجرة الصامتة التي تعتصرها سكرات الموت . رايت وجه السيدة ايفيلين باهتا وقورا من خلال لهب المصباح الذي كانت تجري في اطرافه رجفة تخف لحظة وتعنف اخرى ، ولا اظن انها عزفت طوال حياتها بمثل هذه الاصالة الفنية من قبل ...

فتصاعدت الحانها صلاة وابتهالا . ورويدا رويدا حلقت ارواحنا في عالم سحري نسينا فيه واقعنا ..وتلاشى فيه الزمان والمكان والموت .

وما ان انتهت الفنانة من العزف حتى تصاعد صوت رفعت من اعماق الظلال :

– لقد رايتها ..انها هنا .. معنا. اعزفي مرة اخرى . انها تعرفه . ولطالما عزفت مثلك لحن نشيد « بلادي ، بلادي ، لك حبي وفؤادي» دعيني قبل ان اموت ، اسمعه مرة اخرى كما سمعته في القاهرة في مثل تلك الليالي من الشتاء . كلا .. لا تقولي لي انني لن اموت .انني احس ان ساعتي قد دنت .. واشعر بالموت ينشب اظافره في جسدي . لاتقولي لي شيئا ، وفقط اعزفي ..

وعاودت السيدة ايفيلين العزف وهي ترتجف . كنا نلتفت بين الفينة والفينة الى وجه صديقنا . انهالان يهذي .. وقدسمعناه يغمغم :

– اشكرك يا ابتسام... اشكرك يا شقيقتي .. اشكركيا حبيبتي..

ان قوة ايحاء هذه الفكرة قد جعلتني اتخيل انني لمحت بخارا شفافا اختلط فيه النور بالظلام مغلفا بغلالة بيضاء متجسدا بهيئة فتاة شقراء ، وطفقت تتجول حولنا الى ان انحنى الطبيب فوق الاريكة يتحسس نبض الجريح ، واستوى واقفا واتجه صوب الناحية الاخرى، ووضع يده فوق كتف السيدة التي كانت تواصل العزف ، وقال لها بصوت اجش :

– توقفي ! انه لا يسمعك الان .

فجمدت اصابع السيدة مكانها وانقطعت الالحان .. ثم اتكأت ايفيلين بمرفقها فوق اصابع المعزف واجتاحها حزن عميق بدا على وجهها المرهق ثم انتحبت باكية .

القاهرة **غبريال وهبه**

ليلى

★

أراني كلما ابصرت ليلى — اراها اجمل الاشياء طرا
واروع حليها صوت رخيم — يذوب حلاوة ويرف عطرا
فما وتر براه العزف اشجى — واعذب غنة واحب نبرا
اذا قرأت على سمعي نشيدا — اود لو انها تقرا وتقرا
وتلمس شعرها لمسا رفيقا — وتنثره على الكتفين تبرا
وتبسم ثم تجمعه شعاعا — كمن يلقي على الابصار سحرا
وان ضفرته فوق الرأس تاجا — تحدى قيصر الدنيا وكسرى

وديع ديب

زهر وصخر

الدكتور لطفي عبد الوهاب يحيى

جامعة الاسكندرية

كانت الفصة في الحلق سلاما ووداعا
وعناق الصمت يحكي ...
في الطنين الضائع الابعاد فيضا
كان يلقي بيننا الف سؤال وجواب
كان في الاعين عمر الامس اشواقا وافراح لقاء
وغمامات على وجه رواء
وعتابا يلثم الجرح واطياف اغتراب
طولها الف حكاية

كانت اللحظة يفشى ظلها المخنوق ابعاد رؤانا
كان يطوينا ويطفى ...
فوق اشباح ابتسامات رسمناها سويا
والسؤالات التي كانت لدينا
ضاعت النبرة منها
وتهاوت
والجوابات التي كانت لدينا
ضاعت النبضة منها
وتلاشت
كان حلم اليوم يجتاز تهاويم النهاية

هل اردناها تهاويم نهاية
ان هذا الحلم عمر
فدعينا نحلم العمر على القرب او البعد سويا
ودعينا ننزع الفجر من الظلمة قهرا
ودعينا نخلق العمر من اللوعة الحانا وزهرا
واماني واشواكا وصخرا
ان هذا الحلم عمر
ان هذا الكون حلم
وظلال العالم الصاخب ، هذا اليوم ،...
هذه اللحظة المشبوبة الموءودة النشوة حلم
كلها تعزف اشواط رواية

لم يضع امس ولا كانت رؤانا
همس محموم ولا طيف خيال
في متاهات سراب
انها قصة عمر
تتخطى كل آماد البداية
ونهايات النهاية

الشعر وشخصية الشاعر

بقلم روز غريب

* * *

الى اي حد تتأثر شخصية الانسان بمهنته ؟ الى اي حد يستطيع الفن ان يقولب شخصية الفنان ؟

اذا راجعنا سير البارزين من الادباء او الشعراء العرب الذين سبق لنا درسهم ، لاحظنا انهم يتميزون اجمالا بصفة الاكباب على العمل والتفرغ لفنهم تفرغا يكاد يكون كليا . على ان هذا التفرغ لا يعني بالضرورة حدوث انقلاب جذري في شخصية الاديب . فقد كان الشعراء في العصرين الجاهلي والاموي يتفرغون للشعر لكنهم فيما عدا الموهبة الشعرية لم تختلف مبادئهم وعقائدهم عنها في باقي الناس . فقد اعتنقوا فلسفة بيئتهم وتبنوا مصالح قومهم وقل منهم من اتخذ الشعر مصرفا لمشاعره الذاتية نظير امرىء القيس او اداة تبرير لتصرفه نظير طرفة .

في العصر العباسي ظل اكثر الشعراء مداحين يتلبسون في مدائحهم شخصيات مزيفة ، يقيمون حدا فاصلا بينها وبين شخصياتهم الاصيلة . لا ننكر ان بعضهم ثاروا على التقليد الذي يربطهم بمبادىء السلف . فمنهم ابو نواس الذي دفعته شعوبيته الى السخرية من اسلوب الشعر الجاهلي واستهلاله الطللي . وابن الرومي الذي حاول التجديد في الموضوع واقتبس من اجواء العصر مادة لتجديد الاسلوب . والمتنبي الذي اقحم ذاته في مدائحه وهاجم المطلع الغزلي بقوله :

اذا كان مدح فالنسيب المقدم
أكل فصيح قال شعرا متيم

والثائر الكبير ابو العلاء المعري الذي اخضع الشعر لموضوعات انسانية فلسفية وانكر تسخيره لغيرها .

رغم هذا ، لم تتبدل في الشعر فلسفة القدماء القائلة ان الشاعر انسان موهوب ينظم الشعر في اغراض مصطلح عليها ويضعه في خدمة قبيلته وممدوحيه . لكنه فيما عدا المقدرة الشعرية لا يختلف عن باقي الناس وليس له شخصية خاصة متميزة .

هذه النظرة المحدودة الى الشعر والشاعر رافقت العصور الكلاسيكية في الغرب . العصور التي شاع فيها التقليد والنسج على اساليب اليونان ، بحيث تكاد تنعدم شخصية الشاعر ، لاسيما في المسرحيات التي كانت اللون الادبي السائد في القرنين السادس عشر والسابع عشر .

وانت لو قارنت بين قصيدة كلاسيكية الاسلوب للشاعر الانكليزي بوب (١٦٨٨ — ١٧٤٤) وقصيدة مدح او رثاء للمتنبي ، لوجدت بين القصيدتين ميزات مشتركة منها النفس الخطابي ، فخامة الوزن والالفاظ ، صحة العبارة وسلامة التركيب ، التوفر على وجوه البيان والبديع ، اقحام الحكم والميل الى النقد الاجتماعي ، الربط بين المعاني واعتماد الحجج المنطقية ، الايحاء الصوتي والملاءمة بين اللفظ والمعنى او ما يسمونه مراعاة مقتضى الحال في اللفظ والاسلوب . وعلى الجملة نلمح في القصيدتين تلك الخصائص الكلاسيكية التي اثبتها كتاب ارسطو في الخطابة ، هذا الكتاب الذي نقل الى العربية قبل نقله الى اللغات الاوروبية وكان تأثيره واضحا في شعراء الفريقين كما في نقادهم .

بلغت النهضة الشعرية الكلاسيكية عند الغربيين اوجها في شكسبير الانكليزي وراسين الفرنسي اللذين فرضا شخصيتيهما على الفن المسرحي واستطاعا ان يتحررا بعض التحرر من مناهج السلف ويمهدا للرومنطيقية . الاول باسلوبه الرائع الذي هيأه لمخالفة الوحدات الثلاث واظهار العنف امام الجمهور . والثاني بابطاله المأسويين الذين يذهبون ضحايا التمزق والصراع النفسي .

ثم كانت الثورة الرومنطيقية التي زعزعت ايمان الدارسين بحضارة اليونان وبفلسفتهم العقلانية . استمدت فلسفتها من عهود الفطرة ومن فلسفات الشرق القديم ذات الطابع الصوفي وآثرت افلاطون على ارسطو لانه رغم اتجاهه العقلاني منح الخيال قسطا من اهتمامه حين تخيل عالم المثل وقصة هبوط النفس ورجوعها . وكان له في الشعر والشاعر آراء تأثر بها الرومنطيقيون .

زعمت الرومنطيقية ان الشاعر والفنان انسان مختلف عن باقي البشر . يمتاز بالمعرفة والمعرفة غير العلم . لان العلم اكتسابي اما المعرفة فالهامية لا ينالها الا اصحاب الرؤى والشعراء الذين ينعمون بقوة روحية وادراك يفوق العقل ويجاوز المنطق . ولا يضير الشاعر ان يأتي بالقول الخارق العجيب الذي يغلق فهمه على الناس لان هؤلاء لا يفهمون الا ما تدركه حواسهم وعقولهم اما انتاج الشاعر فمن صنف القذفات الغريبة وغمغمات الوحي .

ونحن اذا استعرضنا قافلة الرومنطيقيين ومن تبعهم من رواد حركة التحرير ، يجب ان نذكر اولا الرومنطيقيين الالمان هولدرلين ، جان بول ، نوفاليس وغيرهم ، الذين انقطعوا للفن ومارسوا الانطواء على الذات والاستغراق في الحلم الذي يفتح ابواب المعرفة القصوى ، فكانوا رومنطيقيين في شخصياتهم قبل ان يكونوا كذلك في شعرهم . ومنهم ننتقل الى الرومنطيقيين الانكليز الذين هاموا بالطبيعة وارتادوا ضفاف البحيرات سعيا وراء الالهام : كولردج ، ورذورث ، سوثي . وخلفاؤهم بيرون ، كيتس ، شلي ، هذا المثلث الذي عاش افراده عيشة غربة

وحرية والم وبوهيمية ، حببت اليهم الموت ، فمات ثلاثتهم في شرخ الشباب موتا شبيها بالانتحار ، اما الرومنطيقيون الفرنسيون فنذكر منهم المثلث : روسو ، شاتوبريان ، ولامرتين ، الذين عاشوا كذلك غرباء مشردين ، ينشدون الوحي والعزاء بالاسفار ومعاشرة الطبيعة . موسيه الذي عاش للحب والخمر والشعر ومات شهيد هذه الثلاثة . الفرد دو فينيي الذي عاش معذبا ومات بلا .

هؤلاء الشعراء مهدوا لبرجعاجية للرمزيين وللشعراء الملاعين : جيرار ذو نرفال ، بودلير ، فرلين ورامبو ، الذين كان لهم في اميركا زميل يضاهيهم شذوذا وغرابة : ادغار آلن بو الذي مات منتحرا بالسكر نظير بودلير .

ان لكل من هؤلاء الشعراء شخصية تسترعي اهتمام علماء التحليل النفساني . فالاول كان يكتب شعره وهو في حالة حلم وهلسنة او شبه غيبوبة . ولم يلبث حتى اصيب بالجنون ومات منتحرا . والاخرون ادمنوا المخدرات وعاشوا عيشة شاذة بوهيمية . يستمدون شعرهم من الاحلام والخمور والعطور والمغامرة في المجهول . يمارسون في كتاباتهم تعرية الذات اي التعبير عن مكنوناتها بصراحة مدهشة .

كان رامبو ، الذي ينسب الى الرمزيين والسورياليين في آن ، يعتقد ان الشعر عملية سحرية كعمليات الكيمياء في القرون الوسطى وان على الشاعر ان يرهق جسده بالحب والعذاب والجنون ويجاهد للحصول على الصفاء الروحي والكشف عن قواه الكامنة والتوصل الى الكلمة الساحرة المنبثقة من فيض اللاوعي . وهو المنطقة التي راى فيها الرمزيون والسورياليون مبعث الالهام .

الشعر في نظر الرمزيين والسورياليين ، خلفاء الرومنطيقيين ومكملي رسالتهم ، فلسفة رفيعة ورؤيا والشاعر يجب أن يكون رائيا وفيلسوفا من صنف جديد . رسالته تحرير العالم انطلاقا من تحرير ذاته . وهدفه اطلاق الروح من سجنها واعادة الفن الى مناخه الاصيل ؛ الى عهود الفطرة والسحر والتحول والتناسخ .

قوام فلسفتهم التمرد على كل تقليد سابق . فالمراة التي كانت عند الكلاسيكيين موضوع احتقار وسوء ظن اصبحت عندهم مصدر وحي ، ورمزا للشعر والفن لانها مثلهما غامضة محفوفة بالاسرار ومثيرة للفكر والخيال .

الحب الذي انكره الكلاسيكيون وراوه مصدر شر والم وعناء صار عند الرومنطيقيين نظير المراة ، لانه يفجر الالهام وبتحريره تتحرر ينابيع القوة والخلق وتتحرر الشخصية كلها .

الموت الذي كان لغزا مخيفا عند الاقدمين ومصدر هول ورهبة ، صار عند هؤلاء معادلا للجمال الاسنى وبابا للخلاص والسعادة والمعرفة التي لا تدرك في هذا العالم . وكما قدسوا الموت واحبوه وسعوا اليه ، قدسوا الالم الذي تخوف منه سواهم . راوا جمالا في الاطلال ومناظر الخراب والشباب الذاوي والازهار الذابلة والوجوه الكئيبة .

آمنوا بوحدة البشر ومساواتهم في حين آمن اسلافهم بالطبقية والتفاوت الاجتماعي . تعاطفوا مع الطبيعة واندمجوا بها وابصروا فيها وجه الله وآية الخلق ، في حين اهملها الكلاسيكيون الذين ركزوا ادبهم على مشاكل الانسان .

الجنون صار عندهم مساويا للعقل بل اكثر منه صدقا وصراحة . واعتقدوا ان اللاوعي اصدق من الوعي لانه بريء من الرياء والمصانعة ، والحلم اصدق من الواقع الظاهر لانه ينبع من اللاوعي ويكشف خفايا الذات التي طمسها الخوف والتقليد ومسايرة الراي العام . والخيال الذي انكر الكلاسيكيون جموحه وفرضوا عليه الانضباط والاعتدال كان عند هؤلاء الثائرين منبع التجديد والخلق والابداع .

ان المذاهب التحررية التي اشرت اليها سعت الى التوحيد بين شعر الشاعر وشخصيته . حتمت عليه ان يعيش شعره . ان يخلق شخصيته خلقا جديدا قبل ان يخلق شعره ، لاعتقادهم انه اذا لم يخلق هذه الشخصية لا يمكنه خلق شعر ذي قيمة ، فالشعر عندهم لا ينبع من الخارج ولا من المارسة والتقليد لكنه ينبع من شخصية مفردة استطاعت بلوغ حالة التطهر والتحرر فانطلقت مواهبها الدفينة وعبرت عن ذاتها باسلوب مفرد وآراء مفردة .

هذا وليم بليك ـ مثلا ـ واحد من اولئك الافذاذ الذين حاولوا ان يبدعوا مذهبا فلسفيا ويبثوا في الناس آراء غريبة وضعوها في قالب غريب .

اعتقد بليك بوحدة الروح والجسد وانتفاء الشر ، وآمن بوحدة البشر وتآخيهم مع الطبيعة . وزعم ان الخيال اعظم قوة في الانسان ، فهو مرادف للحقيقة الروحانية والرؤيا . بها يتقدس الانسان ويفقد رغبته في الشر .

كان بليك يعيش في الخيال . يرى ما لا يراه سائر الناس ويسمع ما لا يسمعون . يبصر في الاشجار مواكب جنيات وفي الغيوم جوقات ملائكة . يسمع موسيقى الاجيال واصوات الغابرين .

وقد تأثر به جبران فحاول في كتاباته ان ينشىء مذهبا فلسفيا صوفيا وكانت له في الحياة والموت آراء ومعتقدات غريبة عبر عنها باسلوب جديد .

يقول صاحب كتاب « الشعر الغربي الحديث ، الانكليزي والاميركي » : السوريالية موقف من الوجود ، فلسفة اكثر منها مذهب ادبي ، الفن ، بما فيه الشعر ، نضال لبلوغ حالة مثالية رفيعة » .

هذا القول ينطبق على سائر المذاهب المتفرعة من الرومنطيقية ويرينا ان هذا المذاهب ركزت على شخصية الاديب والشاعر اكثر من تركيزها على شعره .

خماسيات شعرية

★

اغلظ القول ما اردت فلن ... تخرج بالهذر والهراء كريما
انا من ضيق الفضاء على النسر ... فهل اغصب الخراب البوما ؟
لك عندي قلب يفيض سلاما ... وشذا منعشا وظلا رؤوما
يا الهي طهرت نفسي من الغدر ... فهلا طهرت مثلي الخصوما ؟
ما رأيت اللئيم ينهشني ... الا تمنيت ان اكون لئيما

ايها المزدهي بمالك مهلا ... كل حال مع الزمان تحول
اسخف الناس من يباهي بفان ... كيف ترسو على الرمال اصول ؟
عمرك الله هل سمعت ببدر ... لم يصبه بعد التمام افول
يا الهي حجر فؤادي والا ... اعطني من غناك ما لا يزول
كلما مد كفه لي فقير ... خلت اني عن فقره مسؤول

لي صديق ـ غفر الله له ... يدعي الجراة فيما يدعي
قلق لو عطست برغشة ... لاحتمى منها بحصن التبع
يملأ النادي حديثا فارغا ... يستثير الضحك ـ عما لا يعي
كلما ارهقني قلت له ... رحمة بي يا صديقي الالمعي
صرخة الارنب في سلطانه ... ليس فيها غير معنى الفزع

حسن جوابك للسفيه ترده ... بالحزم ، لكن التغاضي احسن
يتحرش الادنى بمن هو فوقه ... كي يرتقي الاغبى ويهوي الافطن
ما حاجة الذهب النقي لمعلن ... ايضيره الا يجيد المعلن
ما دام ذكرك في البرية عنبرا ... لا يغضبنك ان يسبك منتن
فلربما قضت الشجاعة ساعة ... ان يجبن البطل الذي لا يجبن

بوانس ايريس ـ الارجنتين

زكي قنصل

هنا يخطر لي ان اسأل : الى اي حد استطاعت الرومنطيقية وما اشتق منها ان تؤثر في شخصيات ادبائنا كما أثرت في ادباء الغرب وفنانيه ؟

ان تأثير هذه المذاهب في ادبنا الحديث امر لا يحتاج الى برهان فقد ساهمت في تطوير الاسلوب والافكار وبدلت نظرة النقاد الى اصول الفن ومقاييسه . ولكن هل خلقت عندنا تلك الشخصيات الشاذة الغربية التي اعتنقت عقائد ثورية متطرفة وحاولت بناء فلسفة تتبلور فيها تلك العقائد ؟

هذا موضوع وعر لم يتصد احد لبحثه بعد لانه يتطلب من التحليل النفساني ما يعجز عنه الناقد ولو كان واسع الاطلاع على النقد الحديث ، اذ تعوزه الوثائق والمعلومات والمصادر الكافية . الى جانب هذا يمكن القول ان النضال السياسي والاجتماعي كانا يحجبان نضال الذات عند ادبائنا فظل تأثرهم بالحركات الغربية محدودا غير متطرف . وقد طغى عندهم الاهتمام بتطوير الشكل واخضاع المضمون لحاجات البيئة ولعل هذا ما حال بينهم وبين التفكير على مستوى كوني .

الدامور ـ لبنان

روز غريب



الدكتور محمد رجب البيومي

الديوان الثالث

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

تجيئني رسائله الشعرية في شتى المناسبات ، فهو لا يفتأ ينظم الابيات في كل مناسبة ، يكتبها بخط جيد يحتفل في ابداعه ، ويضعها في اطار زخرفي انيق ، وكل رسالة يتحتم ان تضم سبعة ابيات لا تنقص ولا تزيد ، اذ يبدأ البيت الاول بحرف الميم والثاني بحرف الحاء والثالث بحرف الميم والرابع بحرف الدال ، وهكذا حتى تنتهي حروف محمد رجب بانتهاء المقطوعة المنظومة ، ولا ادري من حبب له هذا الضرب من النظم الا ان يكون ذلك افتناننا بما يسمى التطريز في البديع ، وهو بعض المحسنات المتكلفة التي سادت في عصور الانحطاط الادبي ، وبقي صاحبنا متمسكا بهما في اكثر مراسلاته ، والعجيب انه يود من اصدقائه ان يسلكوا نهجه فيبعثوا اليه بتطريز يجمع اسمه الكريم في اوائل الحروف ، وكنت ارد عليه بالنثر لا بالنظم فيرى ذلك اهانة ويبعث برسائل العتاب مدعيا اني اضن عليه ببعض الجهد ، فاذا قلت له ان النظم لا يواتيني كما يواتيه في براعة واتقان عد ذلك تهربا من المطارحات ، ثم بسط ذيل الغفران فواصل التطريز ، وجعلت رسائله تغدو وتروح ، وما تزال هكذا حتى وانا اليوم في قارة غير قارته لا يكاد يمر شهر دون تطريز !

وقد تفضل باهداء ديوانه الثالث الي هذه الايام ! وطلب ان اتحدث عنه في بعض الصحف الادبية كما تحدثت عن شوقي وحافظ ومطران وشكري والعقاد !! هكذا قال، وكأن هؤلاء من نظرائه بل ان فيهم من تخلف عنه ، اليس لحافظ ديوانان اثنان فحسب ولصاحبي ثلاثة من الدواوين ففيم التلكؤ ؟ وقد طبع الديوان الثالث في ازمة مستحكمة لا تجد الورق للمطبعة ! ولكن الشاعر تغلب على الازمة بجهد لم يستطعه الكبار من الشعراء افيجوز لي ان اسكت ويحي الى اذن لعقوق .

ولا بد قبل الحديث عن الديوان من الحديث عن الشاعر نفسه ، فاساتذة النقد يؤكدون ان الالمام بحياة الشاعر مما يساعد على تفهم شعره ، واستشفاف مراميه، وقد نشأ صاحبنا تلميذا بالمدرسة الابتدائية ثم التحق بدار المعلمين ليعود بعدها مدرسا بالمدرسة الابتدائية من جديد ، وقد قضى اطيب عمره في قرى الريف ، فكان النظم الشعري ملهاته ، لا يكاد يطلب ترقية او علاوة او تقرير، الا بأبيات مطرزة يتقدم بها لرؤسائه ، وهم دائما عند حسن ظنه يباركون انتاجه ويعجبون بمدائحه حتى وقر لديه انه شاعر مجيد ، وكانت قريحته تسعفه بكل ما يطلب فهو ينظم الشعر لمدير التموين ولعمدة القرية ولخطيب المسجد ولكل من يراه موضع حاجة لديه ، وقد اصبح بذلك شاعر القرية ، وهو وضع يقتضيه ان يرثي الراحل وان يهنيء المتزوج وان يستقبل القادم وان يودع المسافر ! وكل ذلك ميسور ، فالنظم يسهل بالدربة ، والمعاني ليست مما يحرص عليه في كل ما يريد ، فحسبه الوزن الصحيح ، والتركيب المتصل ! وكل يدعي صلة بليلى !

ثم رأى ان ينتقل من القرية الى المدينة فقد كبر الاولاد وتطلبهم المدارس الثانوية واصبح وجوده في عاصمة المحافظة امرا ضروريا ، وهو اولى بها من سواه ، فقد قطع في القرية اكثر من عشرين عاما ، فاستحق الترقية الادبية ، ثم هو شاعر يعرفه المفتش والمراقب والمدير بجهاز التربية والتعليم ، وقد قرؤوا تهنئاته لهم في المواسم والاعياد ، فما عليه الا ان يرغب ، وسيجد التنفيذ .

ولكن عاصمة المحافظة غير القرية ، ففيها من اساتذة المدارس الثانوية ورجال الحكومة من يسيطرون على الحفلات الادبية بمواهب اكبر من موهبته ، وقد اعتاد ان يقول الشعر وان يتصدر الحفلات ! ومن له ان يتسابق مع الفطاحل الافذاذ ! والقمة عالية والطريق وعر مخوف ! وقد كان من رسالتي اذ ذاك ان اطالع قصائد الشعراء قبل اذاعتها ، وان اختار منها ما يقال ، فرأى الشاعر ان اسعد بمعرفته ، واقبل يزورني !

كنت اجلس بدار المعلمات فشاهدت كهلا يزحف الى الستين يتقدم الي في هيبة لا اجدني اهلا لها ! وقد ضاعت الكلمات على شفتيه فهو يغمغم بكلام متقطع ، فهمت منه بعد لاي ، انه شاعر ، وانه يطمع ان ينشد

قصيدته في اول حفل بمديرية التربية والتعليم ، وقد بدا عليه من التوجس والاشفاق ما جعلني اسرع في قبول القصيدة كائنة ما كانت ، غير اني اضفت لها من الوزن والقافية ما يجعلها تحوز الارتياح ! ولا اكتم القارىء ان تهيب الرجل كان في غير موضعه فاكثر القائلين من طرازه العروضي ! غير انه لا يلتفت الى حقيقة الامر بل يعتقد ان مدرس التعليم الاعدادي اشعر من مدرس التعليم الابتدائي ، ومدرس التعليم الثانوي اشعر ممن دونه ، فهو اذن لا شيء ! ثم وعدته ان يحضر ليقول .

خرج صاحبي والدنيا لا تسعه ، وكانت فرحة عينيه تضيف الى نفسي سعادة لا تقدر بثمن ، وما كدت اذهب الى منزلي حتى علمت ان الشاعر المسكين قد ساق لاولادي قراطيس من البرتقال والموز زعم اني ارسلتها وامرته باحضارها ، وكانت مفاجاة مؤلمة ، ولم استطع ان اكتم ، بل حدثت زملائي ، ودعوت الرجل لنناقشوه ، فاخذ يحلف ان الفاكهة من حقله ، لم يدفع فيها مليما ، وان اولادي اولاده وقد اراد ان يطعمهم حلاوة الموسم ، وكان الرجل متماسكا مشتدا كما لم يكن من قبل ، فرفهت عن نفسي بقبول تعلته ، واخذ من وقت الى اخر يخصني بالزيارة ، وكان حريصا اعظم الحرص على ان يقول الشعر في كل احتفال ، وعلى ان يغرقني بهداياه التي اشتهرت فصارت موضع الفكاهة لدى الزملاء ، وقد حاولت ان ارده ذات مرة ، فجاء بزملاء مدرستي شافعين ، ورأيت ان يأكلوا الهدية فتقبلوا مسروربن .

ولم انس ان راحلا من كبار رجال التعليم بالمحافظة كان عزيزا على الناس فأقيم باقتراحي احتفال لتأبينه ، وجاءني الشاعر بأبيات ركيكة تضحك في موقف البكاء ، وابدى من الضراعة والتوسل ما جعلني اطوي قصيدته وانشيء سواها تناسب المقام ، وكان ما نظمت مجلجلا صاخبا يليق بحفلات الانشاد ، فما كاد الشاعر يلقي القصيدة حتى جاءني زميل مرح الروح ليقول : هذا اسلوب طيور !! فسألت ماذا تعني ؟ فقال ان قوة القصيدة توحي بأن الشاعر لم يقدم موزا او برتقالا ولكن قدم ديكا روميا ! فابتسمت قائلا : اذا صح قولك فسأبالغ في نظم القصيدة اللاحقة ليكون اسلوبها اسلوب خراف ، او اسلوب عجول! وكانت فكاهة لم يحل دونها حفل التأبين .

هذا بعض الحديث عن صاحب الديوان الثالث ، واخاله يفصح عن منحاه الشعري واتجاهه الفني كما يدل على ما يطرق من موضوعات ، ويختار من اغراض ، واذا كان هذا الجزء الاخير خاتمة ما اصدر من الدواوين فان لي عهدا اكيدا بما سبقه في عالم التأليف من مطبوعات الاستاذ ، حيث تفضل فأهداني الديوان الاول والديوان الثاني ، ولهذه الثلاثة جميعها تاريخ شائق ، اذ عرف الشاعر طريقه الى المطبعة بذكاء ماكر يغبطه عليه المنافسون وانا اعلمه رجلا قريب السطح ، ساذج التصرف ، فكيف تهيأ له ان يتمتع بهذا الاحتيال الماكر حتى يطبع ثلاثة دواوين، وحتى يكسب منها عشرات الجنيهات ! لا بد من سر قوي يمنحه عصا موسى ليأتي بسحر مبين .

لقد صدر الديوان الاول منذ عشرين عاما ، يحمل في مقدمته صورة بوليسية للسيد مدير المركز ، وله في رسمه هيبة واعتزاز وقد أحيط اسمه بأكرم الاوصاف وأجمل الالقاب ثم تلا الصورة قصيدة تشيد بمكارمه ، وتتغنى ببطولته ! قال الشاعر في حديثه معي : وكان السيد المأمور يحضر بعض الحفلات في القرية فكنت ابدأ شعري بمدحه فاشاهد منه ارتياحا وتقديرا وقد تكرر ذلك حتى تمتعت بمودته وانست بمعرفته ، واخذ يصحبني الى حفلات القرى المجاورة لاعيد ما قلت ! ثم بدا لي ان اجمع شعري ، وظننته يستطيع ان يأمر احدى دور النشر بطبعه وتوزيعه ، ولكنه اشار علي بان اطبعه باحدى مكتبات الاقليم وعليه ان يتولى التوزيع ! وقد طبعت الف نسخة مصدرة برسمه الكريم ، فاحتفل واحتشد ، وامر جنوده ان يوزعوا الصناديق على عمد القرى ليقوموا ببيع النسخ للجمهور في وقت سريع، وكان عنده اكثر من عشرين عمدة، فسرعان ما نفدت النسخ ، وجاءت النقود وقد كسبت خمسين جنيها خالصة بعد نفقات الطبع والتوزيع !

اما الجزء الثاني فقد صدر منذ عشرة اعوام ، يحمل في مقدمته صورة جليلة للسيد مدير التربية والتعليم بالاقليم محصنة بأوصاف النبوغ وعبارات التجلة والتقدير، ومشفوعة بمنظومة تتحدث عن مواهبه ، وآثاره النافعة في ميدانه الفسيح ، وقد كان السيد المدير كظن الشاعر به سمحا رقيقا ، فقرأ الديوان فأعجبه او اعجبته صورته البارزة وأوحى الى لجنة الفحص بالمديرية ان تختاره للمطالعة في مكتبات المدارس جميعها من ابتدائية واعدادية وثانوية وتجارية وزراعية وصناعية ! واخذ الشاعر يلبي طلبات المدارس ويبعث بانتاجه الشعري ليسهم في تكوين الشباب ادبيا وفنيا ، وما استدار العام حتى نفدت النسخ اذ احتلت مكانها المرموق في رفوف المكتبات المدرسية وجمع الشاعر نفقات الطبع مضافا اليها ما يبلغ الثلاثين من الجنيهات ، وهي خسارة قائمة في ذهن الرجل اذ ان ديوانه الاول قد كسب الخمسين.

ثم جاءني الديوان الثالث منذ شهور، بالرياض يحمل صورة صاحب الفضيلة مدير المساجد بالمحافظة ، ولا شك ان الرجل سيقوم بجهد طيب في توزيع الديوان على ائمة المساجد ليوزعوه تبعا لذلك على المريدين ! هذا ما اتخيله اذا اطردت القاعدة واستقام القياس ! والا فما الذي جعل الشاعر يجازف بنفقات الطبع في ازمة ضائقة تبحث فيها الجرائد اليومية والصحف الاسبوعية والمجلات الشهرية عن ورق فلا تكاد تجد الا بعد العناء الشاق والالحاح المتصل! اتراه وعد ، ام جازف فتحمل ما لا يطيق ؟

لقد رجعت في اجازتي السنوية هذا العام الى مصر

هبه الشفاء

مرض ابني نزار مرضا كاد يودي بـه ، فكانت القصيدة الاتية

انقذينـــي منيتـي ، انقذيني ... عصفت الهـم باصطبـار الحزين
ورماني الزمـان بالبـؤس يمـا ... صاخبا ، فيه قد تلاشى رنينـي
جئت دنيـاي بالتقـى ، وخـلال ... فاح منهـا العبير كالياسمين
فارتني معـاني الهـم شتـى ... حافلات بكـل شـر حـرون
كلمـا لنت عربدت ، واشمخرت ... ثم شبت نيـران حرب زبـون
وادارت رحـى شـقـاء عنيـف ... كـان حلمي فيهـا نثار الطحين
مـا صبوحـي سوى كؤوس هموم ... وغبوقـي سوى اجاج الشؤون
وغدا الحزن قوت روحي حتـى ... صوح البؤس والخطوب غصوني
وجفاني الرقـاد الا لمـامـا ... ليس يغفو من رام وصل المنون
فـاذا ما اختلست لحظـة نـوم ... تمنع الصـدر هدنـة من انيني
هـب كـابوس سقوتي من كراه ... راميـا مهجتـي بسهـم سنين
فاراني كاكـرة فـي يـديـه ... نقلـت مـن شمالـه لليميـن
فاعـاف السبـات ذعرا كـاني ... لـم اكحـل براحتيـه جفونـي

قد بلـوت الادواء تـزجـي المنايا ... والجراحـات قـرب حبل الوتين
ولزمـت السرير عامين ، والموت ... مطيـف بالبيـت لا يجفونـي
وجرعت الشجون تلتهم الصبـر ... ولكن لـم اشك وطء الشجون
وتظاهـرت بالجبــور الـى ان ... نـزل الـداء بابنـي المسكيـن
فدهتنـي مـن الهمـوم ضروب ... قوضت عزمتي ، ودكت حصوني
واذلت الدمـع الهتون ، وعهدي ... انه فـي الخطـوب غير هتـون
عبرات الرجـال ينزفهـا القلب ... كـان النجيـع مـاء العيـون
فـاذا الدمـع ذرفـوه سخينـا ... كـان جـرح الفـؤاد جـد ثخين
ان اورى الاحـزان حـزن دفيـن ... تصبـح النفس منـه في آتـون

رب ! هبـه الشفاء ، او خذ اباه ... فدية عنه ، بالرسـول الاميـن
لـو رأى الطـب ان حبـة قلبي ... تحسـم الـداء ، كنت غير ضنين
لست ادري ، أطي جسمي روحي ... قد اقامت ، ام في جسوم البنين

محمد العدناني

وحظيت بلقاء الشاعر المكافح ، فرأيته مبتهج النفس، قرير العين وكأن الايام قد وقفت معه عند حد طيب فلم تجرؤ على تحطيمه شيخوخة يائسة او هموم متطاولة ، وقد اخذ يثرثر عن جهاده الادبي وكفاحه الشعري ثرثرة من يظن انه قدم بالفعل ثلاثة دواوين من رائع الشعر العربي ! ثم راعني ان يسألني في طموح لم اتوقعه :

ــ كم اصدر ابو القاسم الشابي من دواوين الشعر ؟

ــ فقلت ــ مدركا سره ــ ديوان واحد يا صديقي !!

فبادر يسأل في تبرم :

ــ ولماذا لم اشتهر مثله ، ولي ثلاثة دواوين !

ــ قلت في تخابث : انت في مصر يا سيدي وزامر الحي لا يطرب ، فلو كنت من تونس لطار لك في جمهورية مصر العربية ضجيج وعجيج !

وبعد ، فقد وعدت صاحبي ان اتحدث عن الديوان الثالث ، وهاأنذا قد فعلت غير مقصر في تعداد روائعه ، وتحليل مزاياه ، وما ذلك بيسير.

الرياض ــ كلية اللغة العربية **محمد رجب البيومي**

رستم كيلاني

بين رفيق العمر وما فوق الحب

بقلم سعد حامد

* * *

لم يتعرض كاتب شاب للنقد الظالم في بدء حياته الادبية كما تعرض الكاتب القصصي الشاب رستم كيلاني .. لكنني أؤكد ـ لوجه الحق وحده ـ ان هذا النقد لم يكن نقدا موضوعيا خالصا او نقدا نزيها بناءا ولكنه كان نقدا هداما وراءه اهواء واحقاد ..

لقد اخرج رستم كيلاني ست مجموعات قصصية في اعوام قليلة « من عام ١٩٦٥ حتى عام ١٩٧٢ » مطبوعة طباعة فاخرة ، ونشر قصصا في مجلات ادبية محترمة كالهلال والاديب والبيان ..

وهو شاب سمح الوجه ، دمث الاخلاق ، رقيق مهذب ، انيق في هندامه ، لبق في حديثه ، محبوب من كل من يعرفه ، وله علاقات طيبة مع كثير من الادباء اللامعين .. كل هذه الصفات الكريمة ، وهذا النجاح السريع اثارت حقدا في نفوس بعض الشبان الذين تنقصهم هذه الصفات الكريمة ، ولم يوفقوا في نشر كتبهم وقصصهم ، فراحوا ينقدونه ، ويحملون عليه حملات ظالمة ..

ان رستم كيلاني كاتب مخلص لفنه يقرا ويدرس ويجود فنه .. وقد تتلمذ على كبار كتاب القصة .. قرا اعمالهم ، ودرسها بعناية .. تتلمذ على محمود تيمور ومحمود البدوي ، ويوسف جوهر ويوسف السباعي واحسان عبد القدوس وطه حسين وتوفيق الحكيم ... وقرا اعمال تشيكوف وموباسان واو. هنري وغيرهم في تلك الترجمات الرائعة التي ترجمها محمد القصاص ومحمد حموده وسعيد عبده وحلمي مراد .. انه لا يتوقف عن تعليم نفسه بنفسه ..

ان رستم كيلاني متفوق فنيا على كثير من كتاب القصة الشبان .. الذين يجيدون الدعاية لانفسهم اكثر مما يجيدون عملهم نفسه ، وبعضهم لم يكتب اكثر من عشر قصص .. ولانه متواضع ، ولا يعرف الطرق الخلفية التي يتبعها بعض هؤلاء الشبان في نشر قصصهم ، فانه لاينتشر مثلهم على صفحات المجلات ، فاذا نشر قصة في مجلة محترمة يراس تحريرها رجل منصف قامت القيامة ، وراح الحاقدون والموتورون يرمونه بالنقد الظالم.

وكنت اتساءل في مرارة : لماذا يهاجمونه في كل مكان .. ولماذا يغتابونه .. ثم اجيب على نفسي في مرارة ايضا : انها النفوس الضعيفة المريضة الحاقدة التي تكره النجاح للاخرين ، وتكره الخير للناس ..

وكنت اتمنى ان يتقدم ناقد منصف نزيه ليس متحيزا لاي مدرسة ، وليس منتميا لاي شلة من الشلل ، ويقول رايه بصراحة في قصص رستم كيلاني .. ناقد يقول الحق .. للحق وحده ..

ولست ازعم ان رستم كيلاني استاذ كبير في فن كتابة القصة القصيرة كمحمود البدوي ويوسف جوهر ويوسف الشاروني .. ولكن له اعمالا قصصية جيدة وممتازة .. ومن الظلم ان نحكم على كاتب قصة قصيرة بقصة او بقصتين قراناهما له .. فان لموباسان وتشيكوف وهما من اعظم كتاب القصة في العالم قصصا كتبت بسرعة ... او لا ندري الظروف التي كتبت فيها تلك القصص.. لعلها كتبت في ظروف نفسية سيئة او كتبت من اجل المادة او لطلب صحيفة او مجلة في حاجة سريعة لقصة .. ولذلك جاءت تلك القصص ضعيفة .

ومما يؤيد قولي هذا ما كتبه صديقنا الكاتب القصصي الكبير المرحوم محمد عبد الحليم عبد الله في هذا الصدد اذ يقول :

« ان اية مجموعة قصصية لاي كاتب من الكتاب لا يمكن ان تتساوى او تتقارب في وزنها الفني حتى ولو كان كاتبها من اشهر كتاب القصة القصيرة في العالم »..

ومن الظلم البين ان نحكم على رستم كيلاني بقصة واحدة او بقصتين من انتاجه بل يجب ان نقرا انتاجه كله، وانا واثق اننا سنجد فيه قصصا بلغت حد الكمال .. قصصا تفوق قصص اولئك الشبان الذين يهاجمونه ، والذين يجيدون الثرثرة والسب والاسفاف ..

وقد اخترت قصتين من قصصه اولهما بعنوان « رفيق العمر » نشرت في مجموعته التي تحمل نفس العنوان .. والثانية بعنوان « ما فوق الحب » نشرت في مجموعته الاخيرة « لا ترقبي عودتي » ..

في قصة « رفيق العمر » يأخذنا رستم كيلاني الى حفل الليلة الكبيرة لمولد سيدنا الحسين .. ويقدم لنا المعلم حسن سائق العربة الكارو ذا الوجه الصبوح والابتسامة المشرقة والذي يرضى باقل اجر ويتنازل عن اجره احيانا اذا رأى شيخا هرما يعجز عن ان يدفع له شيئا .. ذلك الرجل الطموح الذي يعلم ابنه برغم دخله المحدود ، ويحلم بان يصبح ذات يوم طبيبا .. ويصور لنا انسانية ذلك الرجل البسيط في هذه السطور :

« يشفق على رجل هدته الايام وعلى امرأة تنوء بحمل صغارها ، اما الاطفال فهو اب ايضا يشفق عليهم ، ويرد

اليهم قروشهم ، ويركبهم العربة بلا مقابل ، فهم احباب الله .. »

ويثور عليه زملاؤه بسبب تساهله ومخالفته للاسعار التي اتفقوا عليها جميعا فيما بينهم ..

ويصور رستم كيلاني في ثورة هؤلاء الزملاء ثورة المجتمع وحقد الناس على الانسان الفاضل المتمسك بالقيم، وغيرتهم منه ، لانهم لا يستطيعون ان يفعلوا مثله ، لان حب الذات والانانية تقف حائلا بينهم وبين اسداء الخير للاخرين ..

وبينما هو يسير بعربته حالما بان يشتري حلية ذهبية لزوجته وحقيبة من الجلد لكتب ابنه « كامل » تقع الكارثة ، فتدهم سيارة اتوبيس عربته ، وتقتل حصانه عنتر .. وفي لمح البصر تتحطم آماله ، ويفقد مصدر رزقه ، وينطفيء نور حياته ..

ويجلس المعلم يبكي رفيق عمره وكفاحه بقلب يتمزق .. ويبكي آماله التي تحطمت لن يستطيع ان يربي ابنه كامل ليصبح طبيبا .. لقد ذاق المر من اجل ان يشتري الحصان والعربة .. نام على الارض وشقى وجاع وعمل وواصل ليله بنهاره حتى تحققت امنيته .. وكان وهو يبكي يتمنى لو فدى عنتر بحياته هو .. نعم فما فائدة حياته بدون عنتر ..

في تلك المحنة تصور ان زملاءه سيشمتون فيه .. ولكنه احس بانهم يشاركونه مأساته .. وان الفاجعة جمعت بينهم .. كما تجمع دائما بين الناس البسطاء في الاحياء الشعبية .. فعندما عاد الى بيته بعد صلاة الفجر وجد نقودا جمعها له هؤلاء الزملاء علها تسهم في شراء عنتر جديد .. فتساقطت دموعه في صمت ..

هذه القصة صورة انسانية تلمس القلب .. فيها بساطة محببة تهز المشاعر ، وتحرك اشد القلوب قسوة.. وفيها ايضا اشياء كثيرة .. صورة المعلم ذلك الرجل البسيط الطيب الطموح المكافح .. والمجتمع الذي يحقد على الانسان المثالي .. ثم عاطفة الرحمة التي تجمع بين قلوب الناس البسطاء عندما تنزل بهم المحنة .. هذه الصورة التي لا تجدها في الاحياء الراقية .. كما ان فيها كل خصائص القصة الفنية القصيرة ، وحدة الحدث ، ووحدة الزمان ، والتركز الرائع الذي هو اجمل صفات القصة القصيرة ..

اما قصته الثانية التي اقدمها للقارىء ، فهي قصة « ما فوق الحب » (١) .. وفي هذه القصة يقدم لنا رستم كيلاني مأساة الحياة بكل قسوتها وايلامها وفواجعها، وبرغم هذه الاحداث الاليمة المتلاحقة بين سطور القصة ، فلا يبدو فيها اي افتعال فالحياة مليئة بهذه الفواجع الاليمة ، ولا ادري لماذا تذكرني هذه القصة ببعض قصص الكاتب المشهور « توماس هاردي » الذي برع في تصوير مآسي الحياة وفواجعها .. وانا من الناس الذين يعتقدون ان في الحقيقة ما هو اغرب من الخيال .. ولذلك لم تبد لي احداث هذه القصة غريبة او غير واقعية .. وقد تناولها رستم كيلاني تناولا فنيا في الاطار الفني للقصة القصيرة ، فجاءت قصة فنية محبوكة ..

الدكتور فتحي يعود من المطار بعد ان ودع صلاح المسافر الى لندن لاستكمال دراسته في الطب البشري ، وهو محزون .. ويروح يدخن ، ويستعيد الماضي ،ويعود بذاكرته الى اكثر من عشرين عاما مضت ..

ذات مساء يستقبل في عيادته فتاة حائرة مضطربة من اسرة فقيرة تفضي اليه بانها كانت على علاقة حب بشاب من عائلة كبيرة وعدها بالزواج ، وقد حملت منه ثم زعم لها بانه مسافر الى اهله ليقنعهم بزواجه منها ، ولم يعد .. وهذا الشاب هو اخوه فؤاد ، وقد طال انتظارها له ، ولكنه لم يعد اليها ، وهي واثقة بانه هرب وتركها في هذه المحنة .. وتناشده ان يحكم ضميره وقلبه وانسانيته .. وتقدم له ما يثبت علاقتها باخيه واعترافه ، فيخبرها بان اخاه لم يهرب ، ولكنه مات عندما اصطدم بسيارته وهو عائد ، ووجدوه جثة هامدة في الترعة .. وتنهار .. ولكنه يقف موقفا انسانيا يرضي ضميره ، ويريح اخاه في قبره .. سيتخذها زوجة بالاسم .. ستكون زوجة له امام الجميع اما امام الله ستكون كاخت الى ان يتقرر مصير الجنين الذي في احشائها ..

واولاها الدكتور فتحي كل عطف وعناية ، ولكن الاقدار تتدخل دائما بفواجعها ــ كما في قصص هاردي الاليمة ــ فتموت المرأة وهي تضع مولودها صلاح الذي عاش لا يعرف الا ان الدكتور فتحي ابا له ..

وقد رباه هذا، وكان يرى فيه صورة مصغرة لشقيقه الراحل فؤاد .. وكرت الاعوام وتخرج صلاح من كلية الطب ، وسافر الليلة الى الخارج لتكملة دراسته .

وها هو الدكتور فتحي عائد بعد وداعه في المطار ، وهو يستعيد ذكريات الماضي بينما دموعه تكاد تحجب عنه الطريق، ويعود الى بيته فيجده فارغا موحشا بعد سفر صلاح ..

هذه قصة جيدة استطاع الكاتب بفن ان يتناول موضوعه جمع احداث الماضي في بؤرة الحاضر ومن موقف هام في الحاضر راح يستعيد تلك الاحداث ... وبذلك استطاع ان يقدم لنا قصة فنية فيها اركان القصة القصيرة الناجحة .. وحدة الزمان ، ووحدة المكان ، ووحدة الحدث ...

ليقرأ الناقد المنصف الذي لا يتحيز لمدرسة معينة او لاتجاه معين هاتين القصتين ، وليقف عندهما لحظات، فسيجد امامه كاتب قصة يعرف كيف تكتب القصةالفنية.

كما ان لرستم كيلاني قصصا اخرى لا تقل جودة

(١) ما فوق الحب نشرت في مجلة الاديب (يناير ١٩٧٢) .

ابتهالات الحنين

★

يا ويح قلبي لم يزل — يقتات من دفق الانين
مضنى يسامر في النوى — نجم الاسى تحت الدجون
ونعيم حبي قد مضى — الق السنى ، جم الفتون
وبظله شمت الرجا — ودفنت غاشية الشجون
كالطير عشت محلقا — فوق البراعم والغصون
ورؤى تراود خاطري — رفت كقطر الياسمين

واضيعتي في عالم — قد غاص في لجج الظنون
اني هنا في عزلة — اجتر آلام السجين
قلبي يرنحه الجوى — ويضج من حب طعين
والصمت لف كآبتي — فرشفت امواج السكون
والشوق يومض فاتكا — بصميم قلبي المستكين
غنيت مكتئب الصدى — في الليل مجروح الرنين

ينبوع شعري جائش — ينساب رقراق الفنون
اني مزجت حروفه — بمرارة الدمع السخين
اشدو به واصونه — من وهدة الذل المهين
وبه اصور واقعي — ولواعج الحب المكين
وبه اغاني المنتشى — وبه ابتهالات الحنين

شعري انعكاس تجاربي — وصدى لاحساسي الحزين
فمن الجراح قصائدي — صيغت ، ومن المي الدفين

بغداد — خضر عباس الصالحي

عن هاتين القصتين .. اما ابرز سمات قصصه فهي الوضوح والبساطة والانسانية .. ولذلك فان قصصه تبدو دائما قريبة الى نفس القارىء السمح الذي يؤثر الوضوح ..والبساطة .. ويكره التعقيد والغموض والابهام .. ان رستم كيلاني كاتب هادىء النفس ، سليم الطوية .. غير معقد .. يهدف دائما الى تصوير اجمل العواطف ، وارق المشاعر وانبل العلاقات .. ويصدف عن تصوير الاحداث المخزية ، والمشاهد المهينة ، والاعماق المظلمة ..

ويهمني قبل ان اختم هذه الدراسة السريعة عن الاخ الزميل رستم كيلاني ان اذكر راي الكاتب القصصي الكبير استاذنا محمود تيمور الذي ادلى به الى صديقنا الاستاذ محمد احمد عيسى عن رايه في كتاب القصة .. قال محمود تيمور : « رستم كيلاني كاتب يملي على قلمه ما في قلبه الخفاق ، قصصه تمتاز بعاطفتها الانسانية الاخاذة » ..

وهذه شهادة رائعة من قصاص كبير تتلمذ عليه كتاب القصة العرب جميعا بلا استثناء ..

كما احب ان اهمس في اذن رستم كيلاني بهذه الكلمات :

ـ ثق بنفسك .. وبعملك .. وامض في طريقك .. على مهل .. ولا تتعجل والله موفقك .

القاهرة — سعد حامد

اختفت عن ابصارهم ... تركت وراءها قطرات من نكهة صوتها النابض بالحنان والامل ... لهيب الارض يشوي قدميها العاريتين المشققتين ... افسحت الخطوة .. اخذ الاعياء بخناقها .. مزق السعال انفاسها .. اسندت ظهرها الى شجرة توت هرمة تنتصب وحيدة على هدب الترعة .. صديقتها العجوز ... طالما تأرجحت على اذرعها وهي طفلة واتكأت على اكتافها منذ ان غدت صبية .. كانت تنصت لشكواها بصدر رحب ... مالها الان تشيح بأغصانها عنها ؟

استيقظ صراخ معدتها .. نزعت نفسها من مخالب الالم ... سياط الشمس تكوي جسدها من خلال فرجات ثوبها المهلهل ... حلت محل الالم فرحة عندما لاحت لها اعناق المدينة .. مشرقة .. باسمة .

النمل البشري يدور .. يتداخل .. دوامة .. تشاغلت عن الجوع والحرمان بمراقبة الناس السعداء .. البسمة على الشفاه .. الضحكة تزغرد في العيون .. ملابس متألقة .. بطون متخمة .. احذية جديدة تدق الاسفلت .. لا يحفلون بها .. غير مكترثين باحزانها وآلامها .. لو انشق صدرها وتدفقت لفاضت على العالم باسره .. لكنها حبيسة .. لا يراها احد .. وجدت مخبأها الامين في اعماقها .. ؟ لا يستطيع ان يراها احد ولو على ضوء شمعة في وضح النهار ؟

حاولت ان تخفي احزانها في ثوب ابتسامة .. بدت باهتة كوجهها .. وقفت امام واجهة احد المطاعم .. من ورائها الحاتي يقلب الكباب فوق جمرات الفحم المتقدة .. تحلب اللعاب في فمها ... الهب امعاءها الخاوية .. هدر في اعماقها صياح اطفالها :

ــ نريد طعاما يا اماه .. ايــن والدنا ؟ متى سيعود من سفره ؟ لماذا كذبت عليهم ؟ اخبرهم بانه سجين ؟ ... الله يجازيه العسكري .. لماذا وقع اختياره عليه بالذات ؟ هناك متسولون كثيرون غيره .. آل اقترب من احد السواح وطلب منه قرشا آل .. ؟ حظها العاثر .. العيد يسرع الخطو .. البيت ليس به كسرة خبز .. الاولاد في حاجة الى ملابس جديدة و .. و ..

لمحت بعض النسوة واقفات امام احد المساجد .. ايديهن ممدودة .. النقود تتساقط فيها في صمت وهدوء .. لماذا لا تقف مثلهن ؟ .. لم تتلق يدها شيئا ..

زادت طعنات الجوع الحاحا .. تدفق الصداع الى راسها .. امتلأ صدرها بالضيق .. وجهها الشاحب .. ثوبها العنكبوتي .. ؟ سقطت



الكلاب لا تموت جوعاً

بقلم عبد العزيز الشناوي

عيناها في احضان الطرش البلدي .. تقاذفتها امواج الحيرة .

كيف اعود الى اولادي بيد فارغة ؟ سيلتفون حولي ولا اقدم اليهم الا النظرات المشفقة والانات والدموع ؟ ... قد تهدهد مشاعرهم .. تدغدغ خواطرهم .. لكن لن تسكت نباح الامعاء .. الحنان بلا طعام ثدي مجدب .

وقع بصرها على كلب يقف امام احد القصابين .. القى اليه بعظمة



.. قبض عليها بانيابه .

ذات ليلة عاد اليها زوجها متجهم الوجه .. قذف في حجرها بضعة قروش .. تطلعت مستفسرة .. راح يلعن العسكري الذي ظل يطارده .. بصق على الارض .

ـ الكلاب لا تموت جوعا .. اشتري لنا اي شيء نأكله .

جرفتها امواج الزحام .. نهكها الجوع .. لفظها السيل الجارف ..

لعقت عيناها قدرة الفول المدمس المتربعة فوق مقعدها في شموخ وكبرياء .. تشممت العطر المتصاعد من ثغرها .. تحرك فكاها .. ازدردت ريقها .

تطلعت الى رجل اسمر هزيل يأكل سندوتشا بعينين تصرخان ببؤس الحياة وشقائها .. قدم اليها نصف رغيف يحتضن قليلا من الفول .. شكرته بعينيها .. بشفتيها الصامتتين .. بكيانها المرتجف .

نهشت اسنانها كسرة الخبز في لهفة .. لم تتذكر اذا كانت هذه اللقمة عشاءها ام افطارها ؟ .. عاد عويل اطفالها يدوي في مسمعها :

ــ نريد طعاما يا اماه .

سكن فكاها .. اخفت بقية الطعام في صدرها .. يكفي ما طحنته اسنانها .. ما التهمته بناظريها ولعابها المتدفق .

مست قدمها شيئا لينا .. تسارعت ضربات قلبها .. تلفتت حولها .. جلست على الرصيف .. تسللت يدها المرتعشة من خلال ثقب في ثوبها ... التقطت حافظة النقود السوداء المنتفخة .

جرت اناملها المنتشية على جلدها الناعم الدافيء .. تريد ان تصدق حواسها .. لن تعود الى اطفالها حاملة اخفاق مسعاها .. ولن تخدش شرفها .. حلقت بفكرها في رحاب الامال والرغائب .. اولادها يرفلون في ملابس زاهية .. يأكلون مشويات يفوح عبيرها لحما لم تطعمهم به منذ شهور وسمكا ذهبيا وارزا مطرزا

الريف والشعر

*

أيها الريف لا عداك النعيم ... كل شيء لديك سمح كريم
انت دنيا من البشاشات فيها ... ينتسى الحزن والاسى والهموم
كل شيء لديك ضاح نضير ... الفضا الرحب ، والثرى والاديم

النما والخصاب (يا ريف) ملك ... في اياديك ، والشباب القسيم
والسفوح الخضراء والسهل والحقل ... وعطر الشذى والنعيم
اينما سرت بلبل يتغنى ... ورياض مزروعة او كروم
وحقول خضر يرف عليها ... عاطر الزهر والندى والنسيم
وطيور تحوم في كل افق ... سابحات يشوقها التحويم

انت يا ريف اريحي كريم ... لك كف عطاؤها مستديم
من يديك الخيرات فاضت على الناس جميعا فلم يبت محروم
والمروءات عند اهلك طبع ... يلتقي الشيخ عندها والفطيم
غير اني اهيب بالقوم نصحا ... ان بالنصح تستفيق الحلوم
ارضنا الحرة الكريمة فيها ... ثروة خصبة وخير عميم
كيف نرجو منها العطاء ولما ... نعطها من جهودنا ما تروم
فلنقدم كبا لها وجهودا ... هكذا يفعل المجد الكريم
ولنهيىء لها العقول وافقا ... نيرا في ثراه تحيا العلوم
لنرى الريف في الحضارة يزهو ... ملؤه النور والحيا والنعيم

دمشق ... عبد الهادي كامل

باخلاط شهية جذابة .. وهي تخطر في ثوب جديد وحذاء لامع :

ـ دكتور .. احس بضيق في صدري .. واحيانا السعال يكاد يقتلني .

ـ سأكتب لك دواء يزيل كل آلامك .

صك اذنيهاصوت مكلوم :

ـ عليه العوض وعنده العوض .. حل الخراب ببيتك يا عبد الكريم .. ضاعت نقود الناس .. ستتشرد اولادك .. يا عالم .. يا خلق .. سيلقون بي في السجن .. انهال الرجل الاسمر الهزيل على وجهه لطما .. راح يتلوى على الارض.. دجاجة ذبيح .. الحسرة والدموع والحيرة تملأ عينيه الملتهبتين .

واصل صراخه .

ـ كانت المحفظة معي عندما كنت آكل سندوتش الفول .. لو كانت نقودي ؟

محفظة سوداء يا اولاد الحلال بها تسعون جنيها وكمبيالة وصورتي .

حبت يدها على صدرها .. ارتطمت اناملها بكسرة الخبز .. ما زالت دافئة .. قبضت على حافظة النقود ... اطلت من جوفها صورة عبد الكريم .. انسابت من بين شفتيها تنهيدة الهبتها الحيرة .

تفجر في اعماقها شعور رقيق ممزوج بالاشفاق .. مدت يدها المسكة بالحافظة نحوه .. اسبلت جفنيها لتحجب قطرات حيرى من الدموع .

المنصورة ... عبد العزيز الشناوي



حارث طه الراوي

من ذكرياتي الادبية

بقلم حارث طه الراوي

* * *

مع محمد الفراتي

قصير القامة ، ولو كان مكتنز الجسم لما سلم من الدمامة ! ، ولكنه نحيف ـ والحمد لله ـ حتى يخيل اليك وانت تجيل الطرف في جسمه النحيل ان العظام المستقرة تحت لحمه انما هي عظام طائر لا عظام انسان وان الفراتي بجملته لا يعدو ان يكون طائرا لم يبق من ريشه سوى لحيته المدببة والشعرات المتناثرات على خديه المخسوفين !

اذا القيت نظرة عابرة على وجهه ، تنقلت عيناك بين اللحيـة والطربوش ، ولا بد لك ، عندئذ ، من ان تتذكر الشاعر الراحل جميل صدقي الزهاوي في صورته الشهيرة بالطربوش ، فبين الشاعرين الصديقين شبه في الهيئة العامة ...

اما اذا سلطت عليه نظرة فاحصة ستفهمه فسيذكرك انفه المدبب الذي يميل الى الاتساع بانف صديقه الثاني خليل مطران رحمه الله ..

واذا نظرت اليه من قمة طربوشه الى قدميه ، خيل اليك انك تتطلع الى صورة لرجل من رجالنا في اواخر القرن التاسع عشر في كتاب « مشاهير الشرق » لجرجي زيدان !

وقد سطت الاقدار ـ واأسفاه ـ على احدى مقلتيه فغلفتها بالرماد. فتوقفت بصيرته شان الموهوبين الذين يفقدون بصرهم بصورة كلية او جزئية ...

التقيت ببلبل الدير (دير الزور) الشاعر الكبير محمد الفراتي ، لاول مرة ، في صبيحة يوم من ايام تموز ١٩٦١ في غرفة الكاتب الموسوعي الشهير عمر رضا كحالة بمجمع اللغة العربية بدمشق . ولم اكتمه شبهه بالزهاوي الى حد ما ، فابتسم وقال :

ـ يوجد بيننا شيء من الشبه ، وكانت تربطني بالزهاوي ـ رحمه الله ـ صداقة وثيقة ، وفي ديواني قصيدة اخوانية مهداة الى الزهاوي مطلعها :

اجميل ان تعتب علي فأين عتبك من حنانك (١)

وواصل الفراتي حديثه عن الزهاوي قائلا :

ـ ان ترجمة الزهاوي لرباعيات الخيام مضحكة ، وكانها لفرط ابتعادها عن الاصل ، من عندياته ! وانني على ترجمة الصافي النجفي للرباعيات ووصفها بانها افضل ترجمة شعرية باللغة العربية لهذه الرباعيات ...

وعلمت من الفراتي انه يقضي اوقات فراغه في « مقهى رامي » (٢) الكائن بالقرب من فندق « بسمان » بدمشق . فكانت لنا في هذا المقهى الشعبي المتواضع جلسات شعرية ممتعة انشدني فيها بلبل الدير قصائد رائعة من شعره وانشدته من شعري ما اطربه واعجبه ! ، وكان ، يومئذ يعد تعريب كتاب « روضة الورد » لسعدي الشيرازي من الفارسية الى العربية ، وينشدني ، بين الفينة والفينة ، من شعر سعدي المعرب ، ما يخلب اللب ويطرب القلب ...

وعلمت من الفراتي، انه قد درس في الازهر وكان من اترابه فيه الشيخ عبد العزيز البشري رحمه الله . وعلمت منه بصداقته الوثيقة مع شاعر النيل المرحوم حافظ ابراهيم ، وقد ابدى اعجابه بشعر حافظ وشخصيته ، وكان يفضله ، اجمالا ، على شوقي ! فيضطرني لفتح باب النقاش معه على مصراعيه ، فينهي الفراتي نقاشنا الطويل بقوله:

ـ ان شوقي لا يحلق الا عندما يحقق ذاته ، وفي شعره الكثير مما لا يتوفر فيه « تحقيق الذات » وذلك بعكس حافظ الذي يحقق ذاته في كل قصيدة ...

وبالرغم من الحجج المنطقية التي دعم الفراتي بها رايه في شوقي فقد اشعرتني انفعالاته بان موقفه من شوقي متأثر بامور املتها اسباب، قد تكون شخصية ، لم اجد من الذوق الدخول في تفاصيلها !

ولما سألته عن « مقهى رامي » وهل تعني التسمية شاعرنا وصديقنا احمد رامي ، ضحك الفراتي وقال :

ـ كلا فهذا التفكير بعيد عن اذهان اصحاب المقاهي ... وانني على رامي ونعته بالدرويش ...

ودعوت الفراتي على الغداء في مطعم الادلبي الشهير في دمشق فتردد وقال :

ـ انت ضيفنا وانا الذي يجب ان ادعوك ، فكيف تقلب الاية ؟!

ثم تلطف بقبول الدعوة لشعوره الصادق بعمق محبتي له . وما كدنا ناخذ اماكننا من كراسي المطعم حتى سألته عن الاكلة التي يشتهيها، فاجاب بصراحته المرحة المحببة :

ـ انا ديري والديري لا يفضل اكلة على الباميا والرز...

فطلبت له هذه الاكلة الشعبية اللذيذة فاكلها بلهفة ...

ورجعت من دمشق الى بغداد وانا احمل في ذهني وقلبي اجمل

---

(١) ديوان الفراتي ص ١٢١ ـ ١٢٢

(٢) في زيارتي الاخيرة لدمشق صيف ١٩٧٣ رأيت مكان المقهى المذكور بعد ان استحال الى مجموعة من الدكاكين .

(٣) يؤسفني ان اذكر ان مجلة « المعرفة » السورية قد امتنعت عن نشر مقال طويل لي عن الفراتي تحت عنوان « محمد الفراتي ـ ذكرياتي عنه ـ نظرة في شعره ». بحجة ان شعر الفراتي « غير رائج...» في الوقت الحاضر كما اخبرني رئيس تحريرها عند زيارتي له مع الاخ مدحة عكاش في ادارة « المعرفة » وذلك خلال شهر آب ١٩٧٣ فضلا عن ان المقال يفتقر ـ في نظره ـ الى : « التحليل العلمي الموضوعي» ولما ناقشته بصراحة تامة حول هذا الموقف الغريب من هذه المجلة التي احتضنت باعتزاز ، فيما سبق ، افضل ابحاثي ومقالاتي ، حاول ان يتنصل من الامر بقوله انه « لا يستطيع تغيير رأي اللجنة »!

الحب المعاد

★

تحب بعنف جدارا عريضا   ولا تستطيع اليه الطلوع
وتصرخ تبكي تنادي وتزفر   تدعو وترجو ولا من سميع
يعاد اليك الهوى من جديد   كما كان لكن سخي الدموع
فنهرك يبغي اجتياز الجدار   يريد عبورا ولا يستطيع
يعاد اليك الهوى في التياع   جريحا حسيرا كسير الضلوع
تحب التي مستحيل لقاها   ولو قد اذبت ضياء الشموع
اعد غير بنيانك العاطفي   لكيلا تموت شهيد الولوع
تراجع ، فخير اليك الرجوع   لكيلا صخور صباك تميع
حبيبي اناجي ولا من سميع   حبيبي اريد ولا من مطيع
حبيبي اناجيك من نبع نفسي   ومن بئر بؤسي وبحر الدموع
حبيبي الا تسمع الشوق بي   يغني وسر هوانا البديع
حبيبي احاول عنك الرجوع   ولا استطيع ولا استطيع
واني بعزمي افوق الجبال   ولكن لدى الحب اهوي صريع
تحيد النهور الى اي واد   اذا ما استطاعت لتل طلوع
وان النجوم تدور بحزن   لان سناها بافق يضيع
وداعا لحب طوته الضلوع   بيأس وحزم كسر مريع
فما من حياة له في الربوع   جفاه الشتاء وفصل الربيع
وأدتك يا حب خلف الشعور   وفوق ضريحك ناح الجميع
ورفرف فوق ضلوعي السكوت   وظل كئيب يغطي النجيع
فمهما تمر امامي الجموع   فما من محس ولا من سميع
كان الذي كان ما كان يوما   ولا من حياة له او رجوع

الرياض   خالد مصباح مظلوم

الذكريات عن بلبل الدير الاستاذ محمد الفراتي واحمل بيدي « ديوان الفراتي » . وعلمت بعد ذلك ان وزارة الثقافة في دمشق قد نشرت له تعريبه لديوان سعدي الشيرازي « روضة الورد » . ثم انقطعت اخباره عني فلم ادر فيما اذا كان الرجل على قيد الحياة ام لا « حتى زرت دمشق خلال شهري تموز وآب ١٩٧٣ فبشرني الصديقان العزيزان الاديبان مدحة عكاش وفهمي العطار بوجود الفراتي على قيد الحياة وباقامته في دمشق في ذلك الوقت . وقد حالت اشغالي العائلية وحال قرب السفر دون اداء واجب زيارة هذاالشاعر الكبير، بل هذا الدرويش الشريف البعيد عن الاضواء الذي ضحى وشرد في سبيل استقلال وطنه العربي السوري وامته العربية ...

واني لاتمنى ان يكون هذا الشاعر المجاهد ـ بعد ان بلغ هذه الشيخوخة العالية ـ في مستوى التكريم (٣) الذي يستحقه وان يطبع ديوانه « ديوان الفراتي » طبعة انيقة مصورة ويصبح في متناول ايدي الجيل الجديد الذي يعرف آخر اكلة اكلها « اليوت » قبل ان يموت ولا يعرف شيئا عن شاعر عربي مجاهد تجاوز الثمانين اسمه « محمد الفراتي » !!

بغداد   حارث طه الراوي

الشاعرة الايطالية

الفيسيا انا ماريا فالي



Elvezia Annamaria Valli

بقلم عيسى الناعوري

« الفيسيا انا ماريا فالي » شاعرة ايطالية جديدة شابة ، ولدت في مدينة « بوستو ارسيتزيو » من مقاطعة « فاريزي » في الشمال الايطالي ، عام ١٩٤٨ . درست المحاسبة ، ولكنها انصرفت الى اللغات الاجنبية عن طريق رحلاتها الطويلة خارج ايطالية .

في عام ١٩٧٣ صدرت لها في ميلانو مجموعتها الشعرية الاولى ، بعنوان « حكاية لنا » في ٧٦ صفحة من قطع الجيب . وتضم المجموعة ٢٦ قصيدة وجدانية ، تحكي في مجموعتها قصة حب شاب حار . وقد كتب مقدمة الكتاب الناقد الايطالي رفائيلي دي لاورا . وفي هذه المقدمة يقول :

« يسرني انني عرفت الفيسيا انا ماريا فالي ، الشاعرة التي تسكب بعمق شعورا حقيقيا في كل شطر ، بل في كل كلمة من قصيدها . ان الشاعرة تستسلم الى الغناء المباشر الذي قد لا يكون متساويا احيانا ، واحيانا قد يكون متخالفا مزا ، ولكن يسوده دائما تناغم داخلي ، هو التناغم الذي يتميز به الشاعر الحق .. في بعض الاحيان يخيل اليك انها تغمض عينيها وتغني ، متلذذة بطراوة غنائها » .

ويقول الناقد ايضا : « في بعض قصائدها يخيل اليك انها تترجم عن لغة اخرى ، هي اللغة السحرية العجيبة التي يحملها كل شاعر في نفسه : لغة الحب والشوق ، والسعادة والخوف ، والتمزق والرقة ، واليقين والشك ، التي تتعاقب متلاحقة في حساسية الحب . ان في هذا الكتاب الصغير كله طبيعة ملازمة ، فيها التوكيد والوعد » .

ما كاد يصدر ديوان فالي الصغير ، حتى استقبله بعض الصحف بالثناء والتشجيع ، ودعت الاندية الادبية في مقاطعة فاريزي الشاعرة الشابة الى الالتقاء بالجمهور ، لالقاء قصائدها بنفسها في تلك الاندية . وكانت هذه اللقاءات عاملا في اقبال القراء على شعرها . وسرعان ما لقي ديوانها البكر النجاح ، مما حفز كبرى دور النشر الايطالية ، في ميلانو ، وهي « دار موندادوري » على التعاقد مع الشاعرة الشابة على طبع مجموعتها الشعرية المقبلة .

من مجموعة الشاعرة الشابة نختار للقارىء العربي القصائد الست التالية :

الى الحب

اتيه في لا شيء
من الارتعاشات التي لا تنتهي
وانسى كل شيء
والموت ،
أهو خروج حلو
من حلم مضطرب ؟
حين انظر فيك الى نفسي
اشعر بالضياع !

تذكار

ايتها المدينة الشاحبة
شحوب الخريف
ان الضباب يغمرك
بمثل العتمة
وانا يرعبني التذكار
تذكار تلك الامسية المريرة
رمشات اجفان
ورعشات اكتاف ،
ووجه بارد كالصقيع ،
وحديث خافت
والقطار المندفع سريعا
يترك خلفه خطا
من كآبة باردة
مصنوعة من الاوراق الجافة

يداك

لم اكن اصغي
الى حديثك
كنت تحدثني
في امور اعرفها
ما الذي تقوله الان
آه ، نعم . لقاؤنا الاول
في الحلبة
بين الاضواء الحمراء
كنت ارقص مع رجل آخر
وتظاهرت انت فترة
بعدم الاكتراث المطلق
ثم قر قرارك
وفي فترة من فترات الاستراحة
سألتني :
اتقبلين دعوتي
لرقصة فالس بطيئة ؟
ولامستني يداك
فسرت رعشة في جسدي
لماذا ؟ تساءلت فيما بعد
ولم افطن لضمك بشدة
نعم ، اذكر عينيك
وابتسامتك العريضة
انها ابتسامتك الان عينها

صلاة

خالقي انت
ومهمـا شئت ، يا ربي ، اشاء
ليس لي من دون عفو الله
نور ورجـاء
كلما اشرق فجر
كلمـا فج ضيـاء
قلت : اهلا بعطـاء الخالق المعطاء
اهـلا بالرجـاء !

يـا حبيبي
غافر الزلات ، كنز الضعفاء
كن مجيري
كلما ضاق بزلاتي الفضاء
واقتبل ، في الصوم
صومي وسجودي
والدعاء !

الرابية ـ لبنان **اسمى طوبي**

ويداك الدافئتان
اكتشفهما الان فقط

من انـت ؟

من انت
يا من يشعل
الضوء الاحمـر
لكي يمنع
قلبي هـــذا
عن المضي
ولكي يسرق
من ليـــالي
احـلامي
ولكي يمـــلا
أيامي به وحــده
ليحبس انفاســي
ويعيد الي الابتسام
وليعرف عني
كل شـيء؟
لا استطيع ان اعرف من انت
ومع ذلك كنت ابحث عنـك
واخترع صورتك
ولكل نبتـة
كنت اهتف باسمك عاليـا
وكنت ارى وجهك
في كل الوجــوه
والان اتوقف ضارعة :
اتستطيع ان تقول لي
من انــت ؟

غنـــاء

قلت حقـــا
وانت تمازحني :
انني منفـي
في واحة من نفسي
كـواحة
هـــوميروس
وددت لو كنــت . . .
عاشرة للفنـون
لاعرف كيف اغـني
قصيدة حبي
كنت اذ ذاك اقول لـك
كـل ما اقوله لـــك
وانت غير موجــود
حين اتكلم واتكلم
مع نفسي ، ودائما عنـا
وصورتك رفيقتي

قلـــق

اتقدر ان تقــول لي
ما هي تلك الحمى التي في داخلي
والتي تذيبني وتحرقني
حين تكون بعيدا عني
وحين افتقــد
شعرك وعينيــك
ويديك وفمـــك
واروح ابحث
عن شيء يسليني
ويهدي الي السوسة
التي تزيل وحشتي
وعبثا اقرأ
واضحك ، واغني
ولكنك ما زلت هنـا
ثابتا في ذهني هذا
الذي يجد فيك وحــدك
سوسته الكبرى .

عمان ـ الاردن **عيسى الناعوري**

برك الماء في دمشق

في كل بيت من بيوت دمشق القديمة ، تقوم في وسطه بركة ، يتدفق ماؤها هازجا ومثرثرا

هزج لها يعلو ويطرد ... وكأنه من رقة غرد
راحت نوافرها محلقة ... بقوادم للشوق ترتعد
تعلو كما شاءت هواجسها ... بمعارج آفاقها جدد
وتسف احيانا كذي سقم ... قد اغلقت من دونه السدد
عمد من البلور تحسبها ... بمشاعل تذكو وتتقد
صقلت عوارضها كأن يدا ... تغلو بزخرفة وتقتصد
ألفي بها من شامها فلقا ... تهفو له العينان والكبد
واذا هوت وانهل عارضها ... نثر الجمان واشرق الزبد

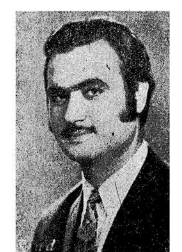
ثوب يد الانسام تنسجه ... من دونها وكأنه زرد
دقت طرائقه وهذبه ... ألق الضحى يذكو ويتقد
افوافه وشي ونمنمة ... ودقيقه من نعمة رغد
يمتد كالافياء ماتعة ... فيها الندى والرفد والصفد
وتراه يطوي كالظلال اذا ... سكن النسيم ولم يثره دد
ويحوطه بذراع غانية ... حوض له من مرمر عقد
وكأنما الوانه شفق ... تخضل من ذكرى وتختصد
اطباقه نتف الغمام جرت ... في عاصف اطباقه الابد

احواضها وسعت جوانبها ... ما ضاق عنه الشح واللدد
تعطي جزيلا غير عابئة ... يوما بمن ذموا ومن حمدوا
كف لها بالبذل سائلة ... لا ترعوي شططا وتتئد
لان الرخام وشع جانبه ... كسبيكة جنباتها تقد
اطباقها حبك الغمام اذا ... صقلت ولم يعصف بها اود
خلصت عن العاهات وانتصبت ... وكأنها دون الحمى رصد
عزت بنعماها مرابعنا ... وغلا الحمى وتأشب البلد

تاريخها عجب شوارده ... من دونه الاحقاب تحتشد
في جبهة الدنيا صحائفه ... قامت ودار المجد والحسد
(مروان) ما جفت قواضبها ... ولواؤها للزحف منعقد
دانت لها الدنيا وما سئمت ... في ساحة قدم لها ويد
في كل ارض من مآثرها ... عجب يضيق بطمسه الامد
تلك الحقائق لم تزل برك ... تعشو لها شجوا وتفتقد
قامت نوافرها مثرثرة ... وتخلجت شجنا لما تجد
وجرت تنث على المدى سيرا ... عن غابر صفحاته بدد
قيثارة الماء ما فتئت ... أنغامها في السمع تطرد

دمشق

عدنان مردم بك



فوزي عطوي

في المتون والهوامش

بقلم فوزي عطوي

* * *

على هامش كتاب « الملك عبد العزيز في مرآة الشعر »

في المؤتمر الاول للادباء السعوديين الذي انعقد في شهر آذار (مارس) من هذا العام ، القى الاديب الباحث الصحفي الكبير الاستاذ عبد القدوس الانصاري بحثا ادبيا قيما بعنوان « الملك عبد العزيز في مرآة الشعر » ، ومن ثم انتظم هذا البحث القيم في كتاب اصدره الاستاذ الانصاري ، مقدما له بكلمة وجيزة حول اسباب اختياره هذا الموضوع الذي كان في عداد الموضوعات التي تضمنها الكتاب الموجه من جامعة الملك عبد العزيز في مدينة جدة الى الادباء السعوديين ، ومبينا خطة البحث ومنهاجه ، وممهدا بصفحتين عن الشعراء العشرين الذين وقع اختياره على انتاجهم الشعري في الملك السعودي الراحل .

والاستاذ عبد القدوس الانصاري ، فضلا عن تصانيفه وابحاثه ، صحفي كبير وصاحب ورئيس تحرير مجلة « المنهل » التي تصدر شهريا في جدة ، والتي تحمل بالاضافة الى افتتاحياته وابحاثه اللغوية القيمة ، عددا من الدراسات والتحقيقات بأقلام كبار الكتاب العرب والمسلمين ، في سائر شؤون الدين والدنيا .

وهو ، من هذا الموقع الصحفي بالذات ، مؤهل للاطلاع على اوسع مدى ممكن من الانتاج الشعري والنثري ، لا في الصحافة السعودية وحدها ، بل في الصحافة العربية والاجنبية ايضا ، فذلك شأن الصحفي الناجح ، والباحث المدقق ، والدارس الموضوعي المنصف، والكاتب الالمعي الذي لا يلقي الكلمة الا ان يتوقع لها اثرا وقبولا في نفوس الناس .

لذلك ، لم نستغرب هذه المقدرة التي لا ريب فيها في تقصي انتاج الشعراء العرب ، على اختلاف اقطارهم ، ولم نفاجأ بسعة اطلاع الاستاذ الانصاري التي تؤكد لنا التأثير المتبادل ، والتأثر المتبادل ، فيما بين الصحافة والادب ، باعتبارهما وجهين من وجوه الثقافة بمعناها الشامل . ففي كتابه « الملك عبد العزيز في مرآة الشعر » قصائد ممتازة لشعراء سعوديين ، ومصريين ، وسوريين وليبيين ، وعراقيين وهنود وغيرهم ، ومن هؤلاء الشعراء نقرا اسماء : احمد بن ابراهيم الغزاوي ، احمد فتحي ، احمد قنديل ، حسين عرب ، خير الدين الزركلي ، سليم ابو الاقبال ، عباس محمود العقاد ، عبد المحسن الكاظمي، عبيد مدني ، علي احمد باكثير ، علي بن محمد السنوسي، فؤاد الخطيب ، فؤاد شاكر ، فارس سعد ، محمد بن احمد العقيلي ، محمد بن بلهيد ، محمد بن عثيمين، محمد بن علي السنوسي ، نظر احمد السهسواني ، واخيرا خالد بن محمد الفرج صاحب ملحمة « احسن القصص » .

ونستعرض منهاج البحث ، ونقف مع صاحب الكتاب ، بازاء بعض المتون والهوامش ، فنرى انفسنا ملزمين بالتزام جانب الصدق والامانة والاحترام العميق لصاحب البحث ، فلا نمتدحه مجاملين ، وانما نبدي له بعض ملاحظات قد لا نحب لها ان تندرج في باب الانتقاد ، بمقدار ما نرجو لها ان تكون لفتا وتنبيها لاستدراك ما في الكتاب من مواضع القصور التي لا تسيء الى الكاتب ، بمقدار ما تغفل جوانب كريمة من شخصية العاهل السعودي العظيم الذي استطاع ان يؤسس مملكته بالفروسية العربية الاصيلة التي ستتردد اصداؤها على الزمان .

يقسم الاستاذ عبد القدوس الانصاري بحثه الى قسمين : احدهما « شعر الملامح او القصائد العربية المعروفة » التي قيلت في الملك عبد العزيز ، وقد بلغ عدد شعراء هذا النوع من الشعر تسعة عشر شاعرا . اما ثاني القسمين فهو شعر الملاحم الذي « ولجه شاعران كبيران فحسب ـ على حد تعبير المؤلف ـ وهما : خالد بن محمد الفرج صاحب ملحمة « احسن القصص » ، وبولس سلامة صاحب « ملحمة عيد الرياض » .

وتستوقفنا كلمتا « الملامح » و « الملاحم » ، بادىء ذي بدء ، فنرى ان المؤلف قد احسن استعمال هذا الجناس غير التام ، بين الكلمتين ، كما احسن جعلهما عنوانين كبيرين للقسمين اللذين تضمنهما الكتاب .

اما بالنسبة لشعر « الملامح » ، وللشعراء التسعة

عشر الذين كانت قصائد معظمهم قد نشرت في عدد من الصحف والمجلات والكتب مثل جريدة « ام القرى » ، وجريدة « البلاد » ، وكتاب « مع عاهل الجزيرة العربية » للعقاد ، ومجلة « المنهل » ، ومجموعة « شعراء الجنوب »، فهو من الشعر الجيد الذي احسن فيه اصحاب القصائد وصف العاهل الراحل ، وتعداد مناقبه وبطولاته ،وامتداح حكمته وشجاعته ونداه .

على اننا وان كنا نشاطر المؤلف قوله (الصفحة ١٠):
« لو جمع سائر الشعر الذي قيل في الملك عبد العزيز ، لملأ مجلدات . ففي عصرنا الحالي لم تنشر درر البيان الشعري على ملك او زعيم عربي كما نثرت هذه الدرر على عبد العزيز » ، فلن نستطيع موافقته على موقفه المنطلق من الحكمة القائلة ان « ما لا يدرك كله لا يترك جله » ، الا ان تكون موافقتنا من قبيل القبول بأيسر السبل والرضى بالقليل دون الكثير ، ولو كان الاستاذ عبد القدوس الانصاري اديبا مبتدئا ، او باحثا متدرجا ، لقبلنا منه بالمقدار الذي نفحنا به عن الملك عبد العزيز في مرآة الشعر . اما وهو في مقام ادبي وصحفي نجله ونقدره حق قدره ، فان من حقنا عليه ان نطالبه بالاكثر ، والاجود، والاكمل .

ولربما كانت السرعة في اعداد البحث ، وقلة المراجع المتوفرة ، لدى الكاتب ، هي في طليعة الاسباب التي جعلت الكتاب يأتي على هذه الصورة ، فنحن على ثقة بان ثمة من القصائد التي قيلت في العاهل الكبير ما لا نظنه اقل شاعرية ، او ادنى مستوى من القصائد التي استعرضها المؤلف في كتابه .

ولعلي لا اذهب بعيدا في البحث والاستنتاج ، فاتناول اقرب مورد الي ، واشير الى العدد الماضي من « الاديب » اكتوبر ١٩٧٤ الذي تضمن ثلاث صفحات كتبها الاديب الشاعر المصري الكبير الاستاذ عامر محمد بحيري في سلسلة « حصاد السنين » التي نقبل عليها في كل عدد من اعداد « الاديب » بكثير من الاعجاب والاكبار ، وفي هذه الصفحات الثلاث قصائد نظمها شاعرنا الكبير ، سواء في مصر ، او في السعودية حيث امضى ثلاثة اعوام ما بين ١٩٤٧ و ١٩٤٩ في جهاده التربوي والادبي ، تحية وتقديرا للملك عبد العزيز وللملك فيصل ، ومطلع اولى هذه القصائد :

ماجت مواكبه ، ولاح لواؤه ‎ ‎ ملك تهلل في الوجوه لقاؤه

ومطلع القصيدة الثانية :

بك ، لا بيوم العيد ، تاه الموسم ‎ ‎ وأماج ساحتك الحجيج الاعظم

واولى القصيدتين نشرت في مجلة « الثقافة »، والثانية القيت في حضرة الملك عبد العزيز ، وفيهما من الشاعرية ، وحسن السبك ، ورقة الابداع الفني ما يشهد لصاحبهما بالتفوق وما يؤهلهما ليكونا في طليعة ما يؤرخ به شعريا للملك السعودي المؤسس .

ونبقى مع الاستاذ الانصاري في متون الكتاب ،لكننا لا نفصل الكلام ، بالنظر لضيق المجال ، وانما نكتفي بالاشارة الى ان مؤلفه جاء اقرب الى العرض السريع منه الى التحليل المتأني ، فاذا خطر للمؤلف ان يحلل او يعلق، فاته بلوغ محجة الصواب في بعض الاحيان .

ومثال واحد نختاره من الكتاب ، يؤكد صحة ما نذهب اليه . فالاستاذ الانصاري يثبت في كتابه (صفحة ٢٢) قصيدة شاعر الكرنك البائس احمد فتحي ، التي مدح بها الملك عبد العزيز بمناسبة الذكرى الذهبية الخمسينية لحكمه ، ومطلعها :

بسمت لمشرق عيدك الايام ‎ ‎ وصفا الزمان ، وصحت الاحلام

وبعد ان يستعرض المؤلف فقرات القصيدة ، يختم كلامه بهذا القول :

« وقد عنت لي هنا ملاحظة سانحة وانا اتابع دراسة قصيدة الشاعر هذه .. فقد كرر لفظة « الندى » في معرض مديحه للملك عبد العزيز في ذكرى جلوسه الذهبية ... ويلوح لي ان الشاعر قصد هذا التكرار ، بالذات ، استجابة لعقله الباطن ، وتصويرا لما تعكسه نفسيته على شاعريته حيال التعرض لغيث المليك الهطال ، وعرضا لشريط طالما عرضه اسلافه من الشعراء الذين ادركتهم حرفة الادب كما يقال .. »

ولا ادري كيف احسست ان في هذا الكلام تعريضا باحمد فتحي ، وانتقاصا من شاعريته ونفسيته ، في وقت اصبح فيه عاجزا عن الدفاع عن نفسه لانه رحل الى رحاب الله . ومع هذا ، عدت اقرأ قصيدة احمد فتحي بيتا بيتا ، فلم ار لفظة « الندى » واردة في اكثر من بيتين هما :

خمسون ، اقبل بالمآثر والندى ‎ ‎ عام ، وولى في المحامد عام

يروى نداك ، فتستفز له المنى ‎ ‎ ويذكر باسك يفرق القدام

ورأيتني اعجب لقول الاستاذ الانصاري ان الشاعر « كرر » اللفظة عن قصد ، استجابة لعقله الباطن ، وتصويرا لما تعكسه نفسيته على شاعريته .

والاستاذ الانصاري يعرف ان هذه القصيدة نظمت عام ١٣٦٩ للهجرة الموافق لعام ١٩٤٨ ، والشاعر هذا الوقت كان يطرق ابواب الرزق ، ويعمل مراقبا عاماللبرامج الاذاعة السعودية في جدة ، فكانت قصيدته اعترافا بالجميل ، واكبارا لشمائل العاهل العظيم ، ولم تكن لتنطوي على شيء من التكسب الذي يفهم من كلام مؤلف الكتاب .

وهذا الكلام لا يعني ان احمد فتحي لم ينل من مكارم البيت السعودي شيئا ، وانما يروي لنا الشاعر الكبير الصديق الاستاذ صالح جودت في كتابه الصادر في سلسلة كتاب « الهلال » : « شاعر الكرنك احمد فتحي » (الصفحة ١٤٨) عن اواخر حياته : « وفي هذه الفترة استولت عليه السوداوية التي كانت تنتهي به في كثير

من الليالي الى البكاء المر ، كلما تذكر سلسلة الفشل التي اتصلت حلقاتها عبر حياته . ونضبت اخلاف المال التي بين يديه ، فكتب الى صاحبه الامير عبد الله الفيصل الذي استجاب له ، ووصله برفد شهري لا بأس به ، ولكن انى لمثل هذا الرفد ان يواجه الحياة التي اراد شاعرنا ان يحياها عن سعة .» .

وتلك صنيعة كريمة من صنائع الامير الشاعر ، اذ بلغ بها قمة الاحساس الوجداني والشعور الانساني ، بازاء الشعر والشاعر ، ولاسيما متى كان الشاعر هو احمد فتحي الذي صعد « ذات ليلة ، هي ليلة ٤ يوليه عام ١٩٦٠ الى غرفته رقم ١٤ بفندق كارلتون (في شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة) ويحس انه متعب مكدود ، ويحاول ان يظفر بأحد من اصدقائه الاطباء ، فلا يجد منهم احدا .. ويصبح صباح حزين .. وفي الساعة العاشرة من الصباح، يصل الطبيب ، فيجد ان رحمة الله بشاعرنا قد سبقته في ساعة مجهولة من الليل . وهكذا يذهب احمد فتحي للقاء ربه وحيدا ، لا يجد حول مخدعه من يسمع منه انشودة البجعة .. اخر الاناشيد في حياة كل شاعر » (صالح جودت ـ شاعر الكرنك احمد فتحي ـ صفحة ١٥٢) .

ولقد قادني الى هذا الاستطراد ، انه لو صح تكرار لفظة « الندى » ، وهو تكرار لم يحدث ، فقد كان لاحمد فتحي اسوة بالمتنبي والنابغة الذبياني واضرابهما من شعراء التكسب ، ممن لم تكن بهم حاجة الى مثل هذا التكسب !

وننتقل ، بعد هذا الى شعر « الملاحم » ، ونبقى مع المؤلف ، في متونه ، بانتظار ان نخطو خطوة ثانية ، بعد ذلك الى هوامشه .

يرى الاستاذ عبد القدوس الانصاري ان شعر الملاحم عن بطولة عبد العزيز ولجه شاعران كبيران فحسب هما خالد بن محمد الفرج صاحب ملحمة « احسن القصص »، وبولس سلامه صاحب « ملحمة عيد الرياض » .

وفي حسباننا ان معلومات المؤلف ناقصة ، في هذا الصدد . واستكمالا منا ومنه لهذه المعلومات نعود الى مجلة « الرسالة » اللبنانية (السنة الثالثة ـ العددان السابع والثامن ـ تموز واب ١٩٥٧) ، فنقرأ عنوان المقالة الاولى المنشورة في هذا العدد : « بطل الجزيرة » .

و « بطل الجزيرة » عنوان الملحمة الشعرية التي نظمها الشاعر اللبناني الاستاذ فكتور ملحم البستاني ، ورفع نسخة خطية منها الى الديوان الملكي السعودي في اواخر شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٥٥ ، كما ادلى بحديث عنها الى مجلة « المجالس » البيروتية الصادرة بتاريخ ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٥ في العدد الذي يحمل الرقم ٩٤ .

ولقد طبعت هذه الملحمة فيما بعد ، وثمة اقسام منها قد نشرت ووصلت الى السعودية ، فما كان ينبغي اغفالها .

ويقول ناظم هذه الملحمة في مقدمتها : « .. اقبلت على تاريخ نجد اقراه ، فاذا بي امام اسرة عريقة جمعت بين صحة العقيدة ، وثبات العزيمة في سبيل النهضة القومية . وانعش املي ان تلك الجزيرة الخيرة بالعزائم والعقول ، لاتزال منبتا للجبابرة العظام . وكفى بابن سعود بطلا ادهش الشرق والغرب ببطولته ، وبانشائه دولة هي فخر العروبة ، وملجاها الحصين في هذا العصر المضطرب بعواصف المطامع والاهواء الغربية .

واخذت بشخصية بطل الجزيرة ، واثرت في مغامراته ، اليوم ، كما اثرت في حكايات الابطال الغابرين، بالامس ، وقلت : « لم لا نروي على ابنائنا اليوم ، اخبار هذا البطل العجيب ، كما كان يروي علينا آباؤنا ، بالامس، اخبار عنترة والزير ؟ .

ان اخبار الابطال المغاوير هي خير باعث على نهضة الامة الراقدة . وشرعت في نظم ملحمة اطلقت عليها اسم « بطل الجزيرة » وقد بدأتها بالنزاع الذي دار بين ابناء الامير « فيصل » ، وما غايتي الا ان اضعها بين ايدي الناشئة العربية ليتغنوا بها فخورين بان امتهم لن تموت ما دام فيها امثال آل سعود المغاوير . »

ومن ابيات فيكتور ملحم البستاني في ملحمة « بطل الجزيرة » ، قوله في بدايات هذه الملحمة ، مشيرا الى الامير فيصل بن تركي جد بطل الجزيرة ، والى النزاع الذي دار بين ابنائه ، كما اشار في المقدمة :

رب ! ما ذنب امتي ، فتجازى بعداء ما بينها ، واحتراب
الان الاباء نور فيها ونما في مضارب الاعراب
ومضى عابقا ، يرش الليالي وانوف الاسحار بالاطياب
الان الاقدام اسفر فيها عن جبين منمق بالحراب
لا يبالي ، صونا لمجد عريق بثواب يناله او عقاب
رب ما ذنبها ؟ اما كان احرى ببنيها ان ينشطوا للحساب
فيسيروا موحدين ، ويبنوا فوق هام الاحقاب دنيا الصواب
رب رحماك ، ان عملت بما لا بد منه ، فاغفر ذنوب شبابي
هدم العرب ما بناه سعود(١) واباحوا الربوع للاغراب
فغدت خيسة الاسود مراحا للثعالي » وملعبا للذئاب
والقشاعيم آخذون بحرب يصطليها العقاب ضد العقاب
ان يسد قشعم من العرب يوما ويغيب في الافق كل غراب
هب من قومه عليه عدو يا لقدر الانساب بالانساب
يا مشاري ما ذنب تركي فتروي من دماه لهيب قلب التراب
ان يكن ثار للعلى ، فلمن ثرت فمهلا يا خائن الاحساب
وانتضى « فيصل » سميا عزيزا سكن الروع جنبه في القراب
مد كف العقاب يكتب آي المجد والباس في السيوف الغضاب
ينثر الغيظ من جفون اطارت لهب النار في الفضا كالسحاب
ومضى ثائرا ، وما ارتد الا وعلى سيفه نعي المحابي

والان ، نخطو الخطوة الثانية ، في اطار « شعر الملاحم » ، فنعرض لهامش واحد من هوامش الكتاب ، حيث يقول الاستاذ الانصاري في الصفحة ٨ : « اكتفينا

بعرض نماذج من « احسن القصص »، ملحمة خالد بن محمد الفرج لانها نظمت ونشرت في عهد الملك عبد العزيز وعرضت عليه في حياته ، ويبدو انه اقرها ، ولان الشاعر خالد الفرج قد عاصر من كثب كثيرا من احداث هذه الملحمة فصورها ووصفها بدقة وامانة ، ولان ملحمة بولس سلامة ، مع جودة سبكها ، فقد تعرضت لاحداث خارجة عن نطاق موضوعها . »

ثمة ، اذن ، سببان يبرر بهما الاستاذ عبد القدوس الانصاري اكتفاءه باحدى الملحمتين دون الثانية ، ولقد نوافق المؤلف على وجاهة السبب الاول فيما عنى ملحمة « احسن القصص » ، اما السبب الثاني ، فيعذرنا ان رفضناه ، لاسيما وان الاكتفاء بملحمة دون الاخرى ،يرجح فضل الاولى على الثانية ، كما وان تاريخ النظم والنشر والعرض ، ومعاينة الحدث التاريخي عن كثب او عن بعد ، ليس لذلك كله اي اثر في تقييم الملحمة الشعرية ، بمعناها الفني الذي عرفه اليونان ، والفرس والهنود ، في الالياذة ، والانيادة ، وفي الشاهنامة ، والمهابهاراتا، او في العصر الحديث من خلال ملحمتي « عيد الغدير » و «عيد الرياض » لرائد الشعر الملحمي العربي الاستاذ بولس سلامة .

وباديء ذي بدء ، نعترف بأننا لم نقرأ ملحمة «احسن القصص » كلها ، لذلك نرى انفسنا غير قادرين على اجراء دراسة مقارنة بين هذه الملحمة ، وملحمة « عيد الرياض» لبولس سلامة ، او « بطل الجزيرة » لفيكتور ملحم البستاني .

الا اننا ، من خلال النصوص التي استشهد بها الاستاذ الانصاري في كتابه ، نستطيع التقدير بأنما في « احسن القصص » من الشاعرية لا يرقى الى اعلى من المستوى العادي ، مع عميق تقديرنا للدوافع النبيلة التي حملت الشاعر خالد بن محمد الفرج على نظمها .

اما ملحمة « عيد الرياض » فبحسبها ان صاحبها ارسى في مقدمتها اولى اسس الفن الملحمي ، مثلما فعل ابن خلدون في مقدمته الشهيرة عندما ارسى اسس علم الاجتماع . ثم بحسبها ثانيا ، ان كبار ادباء العربية ومفكريها احلوها المحل الاسمى ، لا بل فضلوها على كثير من سابقاتها في الآداب الغربية .

يقول الامير الشاعر عبد الله الفيصل مخاطبا صاحب هذه الملحمة : « في اللحظة التي نفضت فيها يدي من غبار الثرى الذي اهلته على ضريح المغفور له فقيد العروبة والانسانية والمجد ، جدي عبد العزيز آل سعود ، تلفت من اعماقي باحثا عن امير الشعراء احمد شوقي لينظم للتاريخ ملحمة تسجل بطولات صانع التاريخ ، وعادت الى قلبي لوعة دامية . وقد تذكرت ان شوقي نفسه مات . وظللت امدا غير قصير ادعو الله ان يهيء لهذا الذي شاد من امجاد العرب ما يعجز التاريخ عن ان يأتي بوصف صادق له ، ولكن الله الذي لا ينسى عباده المحسنين .. عباده الذين خلق منهم دعاة خير ورسل انسانية ، جاء بك لتقف على اعراف التاريخ متغنيا « بعيد الرياض » .

رحم الله شوقي ، فقد كان سعيدا الى اقصى درجات السعادة حين مات قبل ان يقول في مصرع النسر بيتا واحدا ، فلو نظم ملحمة او قصيدة في الموضوع الذي اخرجت من اجله « عيد الرياض » لاخفق ، ولضاع صوته ضئيلا في صخب زمجرتك القوية المدوية » .

ويقول عن ملحمة « عيد الرياض » اديب العروبة الصديق الاستاذ وديع فلسطين : « والعمل الشامخ الذي ابدعه بولس سلامة هو « ملحمة عيد الرياض » ، وهي ملحمة طاولت « الاوديسة » اليونانية ، وصاولت الملاحم العربية القديمة ، وانتصبت في تاريخ الادب العربي كمعلم مضيء من معالم الطريق ، لانها سجلت بمداد الشعر وروحه ، بل بدم المهجة وصميمها ، تاريخ امة ، وحياة قائد رائد ، ولانها اشتملت في تضاعيفها على زبدة الفكر المعاصر ، وصفوة الصفوة من مذاهب المفكرين في كل عصر ومصر ، ولانها جاءت ملحمة من الشعر كما عرفته العرب ، لا من النثر الذي شاع امره اليوم ، ففقد مقومات الشعر وخصائصه . » .

ويقول شاعر لبنان الاستاذ سعيد عقل : « ان العرب بعد ملحمة بولس سلامة لن يكونوا مغبونين ان رجعوا اليها في كل ملمة ، فهي لطالب الفرائد ديوان من الحكم لا يدانيه الا نهج البلاغة ، والقلائل القلائل من آيات المتنبي . وهي لرائد الفكر سجل لعدد من انتصارات الفلسفة الحديثة ، تدخل لاول مرة على شعر العرب . وهي للاخلاقي مذهب بكامله متماسك الاجزاء انتظمته فضائل الانفة والكرم واقتحام الردى ، وعفة اللسان ، ونجدة الملهوف ، والطموح الذي يبعث الحياة في اللاشيء حتى لتتساءل اي قيمة عربية لم يطلعها هذا الشاعر البحر ، كانما هي منورة للمرة الاولى لوفرة ما افتن الشاعر في الباسها البريق ، واسماعها من خلال اصطكاك السيوف . اما للمملكة العربية السعودية فهي كل شيء . وفي يقيني ان جزيرة العرب ستتحدث بعد مئة عام باحداث ثلاثة : تأسيس المملكة على يد عبد العزيز ، واكتشاف منابع البترول ، وملحمة « عيد الرياض »

وبعد ، فلعل الاستاذ الكبير عبد القدوس الانصاري يدرك ، وقد ثقلت كفة الملاحظات وخفت كفة المديح ، اننا لولا ما نتوسمه فيه من مقدرة على ايفاء البحث حقه ، لما سلكنا هذا المسلك ، ولا انتهجنا هذا النهج ، فمثله حري بأن يعيد النظر في كتابه ، عندما يقدمه للطبع مرة ثانية ، حتى يأتي وفق ما نرجوه من صور الجمال والكمال .

وبحسب الاستاذ الانصاري ، في كل حال ، انه قدم خدمة مثلثة الجوانب : لذكرى الملك عبد العزيز ،ولاصحاب القصائد والملاحم ، وللشعر العربي المعاصر على وجه الاجمال . وانها لخدمة فكرية تحفظ له ، عندنا ، مقاما اثيرا ، ومكانة رفيعة تليق بأدبه .

فوزي عطوي

المضخة العجيبة

آه ، ايتها المضخة العجيبة الغريبة
تعملين بانتظـام لا يعرف الكلــل
وتضخين دم الحيــاة في عروقي

آه ، ايهـــا الخافق الذي لا يتعـب
منذ كم سنـــة ...
وانت تحمل اهوائي وميولي
وتتحمل متاعبي واوجاعي
وتتعايى بجروحي وآلامي

كنت فتيــا ...
تحتضن فورات الصبا ونزعات الشباب
وتتطاول الى الامال
السائرة على طريق الحياة
ترنــو فلا تتعـب
وتقترف الاماني فلا تكـــل
وتطـوف دني
احلامها غريبة وآمالها عجيبــة
وكانت الطريق تنبسـط امامــك
فتنهبهـــا بفسحات الزمان
وتفترسها باقدام الحركة

كم داعبت هوى مغريـا
ورعيت هـــوى محبا
وفتحت للحيــاة نافـذة
تتسابق اليهـا الانسام
وعلى حافاتهـا نبضــات
تعج بدفقـات الوجود

منحت الحياة ما كانت الحياة تمنح
وجدت بجـــودها
وكلك لهفة وشــوق ومحبــة

ألا تزال تذكر اشعة القمر
ووهج الظهيرة ولطافة العصر
ثم ارتماءك على وداعة الليل

المسترخي بحنوه وهدوئــه

كان الهدوء يؤرجــح حسك برفــق
وكان السكون يضطرم باحساس ودفق

بقرب الاغــراء
كان الحب العطوف المنتظر
وفي دفقة الحيــاة
كانت قساوة الوجود
وكانت اغلال الواقع

آه ، ايتها المضخة العجيبـة
آه ، انت ايها الخافــق
يقظــان ... كنت لا تنــام
وقت كان الناس نيامـــا
تفترس المنى وتنهب الامـــال
وتنثر على نــوم النــاس
انتفاضات الحياة المتجمعة بين يديك
ويعود الزمــان في دورته الاليــة
ويقرأ في سجله ماضيــات الايام
ويزن الماضي والحاضر والمستقبل

الماضي عشتــه انـــا
والحاضر وضعته انا بين راحتي
وقلت المستقبل تعال كما تشاء

ايتها المضخة العجيبة
ايها الخافق الغريب
انا اريد ان اتتبع الحاضر
في ظـل المستقبل
انا اريد ان اطوي الصفحات ...
صفحة ... صفحة

آه ، ايها الخافق الذي لا يكل
الا ياتي ما احب
ألا استرد ما اريـــد

حلب ـ دار الرائد

توفيق اليازجي





بقلم عبد الحميد الانشاصي

قبض على اربعة رجال من زمرة مقاومة سرية ، وبقي رجل واحد لم تتمكن السلطة الاسرائيلية من العثور عليه . انه صالح رشيد . ذلك الشاب المثقف الذي ابدى براعة فائقة في التخطيط والمقاومة ادهشت زملاءه وولدت في نفوسهم ثقة به واعجابا بمقدرته الفكرية . انه يتقن ثلاث لغات : العربية والانكليزية والعبرية ، وقد طالع عددا كبيرا من الكتب الادبية والاجتماعية والسياسية وله موهبة فذة في الاستنتاج وابتكار الخطط . وقد زاد تلك الموهبة عنفوانا وتوفيقا بما تعوده من تفكير صامت وبوضع افكاره موضع التنفيذ . وهو ينتمي الى اسرة راقية ثرية محترمة تقطن في الجليل .

بحثت عنه السلطة الاسرائيلية مرارا ، وضيقت عليه الخناق لكي تتمكن من القبض عليه او ارغامه على الاستسلام . ولكن جهودها في هذا السبيل ذهبت ادراج الرياح ، فعمدت الى الطريقة التي تعودت استعمالها في الانتقام من مقاوميها وهي هدم المنازل . هدمت منزل صالح رشيد وشددت الرقابة عليه على الحدود . ولكنه لم يفكر في الخروج من بلاده، فقد عاهد نفسه ان يستمر على جهاده الوطني حتى اخر لحظة من حياته . لم يشغله شيء عن التفكير في وطنه ، لا زوجة له ولا اولاد ، ولكن ما حز في نفسه ان يعتقل زملاؤه الاربعة . غير انه وان غدا وحيدا الان الا ان اليأس لم يدب الى نفسه ، بل ازداد صلابة وعنادا واستماتة في سبيل مبدئه وهدفه .

دخل بلدته ليلا ليرى ما حل بمنزله ، فوجده انقاضا . تمكن الاعداء من ان يحولوا داره الى انقاض ، ولكنهم لم يستطيعوا ان يحولوا الحماسة المشتعلة في نفسه الى يأس . اجل ، لقد غشيه غم حينما فكر في مكتبته العامرة التي هوى سقف البيت عليها ، وفي مؤلفه المخطوط الذي اودعه زبدة افكاره ، وفي الرسائل التي تبادلها مع بعض اصدقائه ولاسيما ذوي الشخصيات البارزة منهم ، وفي الكتب النفيسة الخالدة التي قضى شطرا كبيرا من حياته في البحث عنها وشرائها . تلك الاشياء ثروة فكرية دفنتها انقاض لا قيمة لها . ولكن الغيظ الذي ولده ما انزله الاعداء من ظلم به تحول الى وقود لعزيمته وارادته .

وقبل ان يغادر بلدته تناول لوحا خشبيا وعلقه على جدار ، ثم اثبت عليه ورقة كتب عليها ما يلي :

« ايها الاعداء ! انتم تعلمون والعالم كله يعلم ان البلاد لنا . نحن اصحابها الشرعيون . لذلك يجب ان نقطن فيها وتكون السيادة لنا . انتم تبحثون عن الامن والسلام لتقروهما في ربوعنا . وانا اؤكد لكم ان الامن والسلام لا ينشران في بلادنا الا اذا عشتم فيها كما يعيش ابناء جنسكم في الاقطار العربية الاخرى . ان السلام والامن لا يستتبان الا اذا قاما على اساس من المحبة لا الكره والارغام . ان وسيلتكم الوحيدة التي عمدتم اليها لتحقيقها هي الظلم والارهاب . ولكن من المحال ان ينسى المظلوم الظلم الذي انزل به اذا سلب الظالم ارضه وبيته واملاكه الاخرى . ان التفاهم لا يتم بين المظلوم والظالم الا اذا استرد الاول حقوقه وامن شر الثاني . لا شيء ينسينا ارضنا وبلادنا التي اغتصبتموها منا . ان ادعاءكم انكم شعب الله المختار لا يجيز لكم ان تفعلوا ذلك . كل الشعوب العريقة في العالم اسهمت في بناء صرح الحضارة . ولا فضل لاحد تلك الشعوب على الشعوب الاخرى . وليس هناك ميزة تجعل الشعب الذي يتحلى بها مختارا والشعب الذي حرمها مهملا . انكم مكونون من افراد تباينوا في العادات والتقاليد والجنسيات وان كانوا على دين واحد . فكيف تنجحون في تكوين شعب موحد ؟ انكم غرباء بعضكم عن بعض وعن العرب الذين تعتدون عليهم . ليس الانسان كالماء يأخذ لون الصبغة التي ذابت فيه . ان اثمن ما في الانسان العقل لما يقدر عليه من تفكير ، والقلب لما يدخره من حساسية وعواطف . والعقول والقلوب اذا لم تنسجم عاشت غريبة بعضها عن بعض » .

وحينما فرغ صالح رشيد مما كتب ذيل كلمته باسمه الكامل ، ومضى لشأنه . وفي صباح اليوم التالي تجمع اهل البلدة حول الورقة المثبتة على اللوح الخشبي ، واخذوا يقرؤونها في تريث وغبطة . ثم اعادوا قراءتها مرارا . واخيرا انتهى خبر الورقة الى رجال الشرطة ، فانتزعوها عن اللوح الخشبي واحتفظوا بها . ثم راحوا يبحثون عن صالح رشيد في كل مكان ، ولكنهم لم يعثروا له على اثر .

ــ الم تجد ذلك الثائر الشاذ الذي كتب تلك الكلمات الجارحة ؟

(احضره الي وانا اعرف كيف انتقم منه واعذبه) .

ــ لقد بحثت عنه في البلدة وفي خارجها فلم اجده يا سيدي .

(لعله خرج من البلاد الى قطر عربي مجاور ، فما ذنبي ؟)

ــ محال ان اتخلى عن البحث عن ذلك الرجل مهما كلفني الامر من

جهد ومشقة . اريد ان اقبض عليه لكي ألقي عليه درسا لن ينساه .

(ائتوني به حيا او ميتا) .

ــ انه من العصابة التي اعتقلنا اربعة من افرادها اخيرا ولعله رئيسها.

(لست ادري كيف تمكنا من القبض على اربعة اشخاص وعجزنا عن القبض على شخص واحد) .

ــ نعم ، انني أعرف ذلك . في اعتقادي ان ذلك الرجل سيزعجنا ويضايقنا كثيرا اذا تركناه يفعل ما يشاء . واخشى ان يؤلف عصابة اخرى ويعود الى مثل ما كان عليه من مضايقات . لقد امسكنا بذنب الحية لا براسها .

(من العار ان يضايق رجل واحد حكومة كاملة) .

ــ لا بد ان نعثر عليه. أؤكد لك انني سآتيك به ، فثق بي . لقد اعتزمت ان اقبض عليه يا سيدي .

ــ سنرى

كانت مقبرة البلدة ملفوفة في ظلمات الليل كما لفت جثث الموتى وبقاياهم في ظلمة القبور . وكان السكون سائدا في خارج المقبرة وفي داخل القبور . ولم يسمع من الاصوات الا صرير الصراصير الكامنة في اشجار السدر القائمة هنا وهناك ، وكانت القبور بانصابها الطوال العراض وبظهورها المرتفعة ودرجاتها شبيهة بأسود مقعية في انتظار فرائس لها .

وقف صالح رشيد بجانب قبر ابيه يجيل فيه بصره في تفكير واحترام . ثم تلفت حوله باثا نظرات استطلاع بين القبور المظلمة . انه الرجل الوحيد الذي وقف هناك . اخذ يفكر في ابيه ويستعيد على ذاكرته الايام الحلوة التي عاشها معه وكلامه الرقيق ونكاته السارة، فاطلق تنهدة حارة عميقة ، وشعر ان اباه لم يورثه الدار التي هدمها الاعداء فحسب بل اورثه ايضا حب الوطن وحب المواطنين . فان كان الاعداء قد افقدوه الدار فانهم لم يفقدوه حب الوطن والمواطنين . وقف في خشوع كأنه كان يعاهد اباه على المضي في سبيل الدفاع عن وطنه طول حياته .

ــ تصريح ــ

« ايها الاعداء ! لقد سمعت ان كباركم يدعون اننا ضيوف عندكم نقيم في منازلنا مؤقتا . ولست ادري كيف اعتبرتمونا ضيوفا ونحن اصحاب منازلنا واراضينا . وهل من المعقول ان يضيف الرجل عدوا له ؟ هل تعتقدون انكم تستطيعون بما تملكون من اسلحة فتاكة ان تكونوا اصحاب حق وان تجردونا من حقوقنا ؟ اعلموا انكم بين العرب وهم كثيرون كسفينة في بحر واسع . ان السفينة مهما ارهبت بما فيها من اسلحة نارية فتاكة لا يمكنها ان تجفف مياه البحر حينما تصاب بتلف تشرف به على الغرق . ان « فلسطين » باقية « فلسطين ». انها ليست شارعا يستبدل باسمه اسم اخر بل اسمها كاسم الانسان يبقى ملازما له الى الابد . والفلسطينيون لا بد ان يعودوا اليها سادة احرارا كما تعود الطيور الى اعشاشها . لقد احتل اسمها مكانه من خارطة العالم . ولا احد يمكنه ان يغيره او يغير خارطتها .

ــ مطاردة ــ

ــ الم تتمكنوا من العثور على صالح رشيد حتى الان ؟

(حرام ان تكونوا رجال شرطة) .

ــ لقد عثرت على رجل ظننت انه هو ، وبعد التحقيق تبين لي انه ليس صالح رشيد .

ــ(ماذا اصنع لك ؟ هذا ما امكنني ان افعله) .

ــ ماذا كنتم تفعلون لو ان اسرائيل كانت بلادا واسعة كفرنسا مثلا ؟ ان رجلا واحدا مطاردا في قطر صغير يمكن القبض عليه في سهولة .

(لا شك انكم عاجزون كل العجز ولا تعرفون كيف تقومون بواجباتكم) .

ــ لعله قتل من حيث لا ندري يا سيدي .

ــ هه ! قتل ؟ من قتله ؟ لا يقتله احد سوانا ، فكيف نقتله ولا ندري بذلك ؟

(ــ هذا ليس كلام رجل مفكر) .

ــ هبه حيا ، فماذا يستطيع ان يفعل بنا ؟

ــ اننا لا نخشى سطوته ، ولكننا نشعر بالعار بسبب عجزنا عن اعتقاله. هل انتم راضون عن انفسكم حينما تقرؤون تصريحاته على الالواح الخشبية ؟ هل هناك استهانة بنا اسوا من هذه الاستهانة ؟ وهل هناك اساءة شر من هذه الاساءة ؟

ــ تصريح ــ

« ايها الاعداء ! كانت الشعوب في الماضي تفخر بافتتاح البلاد بقوة اجسادها . والشعوب اليوم تفخر بافتتاح المجهول بقوة عقولها . لقد ولى زمن افتتاح البلاد . وانتم اليوم تريدون ان تحيوا مبدأ ميتا . ان العالم يقترب من الانسانية والحرية والسعادة . وانتم تستبدلون بتلك الاهداف النبيلة بغضا وظلما وشقاء.

اسمعوا ايها الاعداء ! لقد حضرت الليلة الماضية الحفلة التي احيتها مغنية شهيرة عندكم . استمعت الى غنائها حتى انتهت الحفلة دون ان تشعروا بذلك . كنت جالسا في الصف الخلفي من المستمعين جلست في هدوء ، ودخنت ثلاث سيجارات في هدوء . لم احضر تلك الحفلة رغبة في سماع صوت المغنية الشهيرة ، بل لاقيم لكم برهانا على ان في امكاني ان افعل كل شيء على الرغم منكم ودون ان تدروا بذلك .

وتعليقا على صوت المغنية اقول : لقد كان صوتها غريبا عن اصوات العرب اصحاب جبل الكرمل ولغتها غريبة عن لغتهم والحانها غريبة عن الحانهم. فان كنتم قد عدتم من الحفلة مسرورين مغتبطين فاني عدت منها غاضبا ثائرا » .

ــ مطاردة ــ

ــ هذا غاية في التهكم بنا . اننا لا نسمح لهذا الرجل المطارد ان يعبث

بنا هذا العبث . اية سخرية اشد من هذه السخرية ؟ كيف تمكن ذلك الرجل من الجلوس بين المحتفلين دون ان يدري احد بوجوده هناك ؟ كيف حصل على تذكرة ؟ االى هذا الحد بلغت غفلة رجال الشرطة ؟ .

(أيقع بين ايدينا ولا نقبض عليه؟ يا لنا من مغفلين !) .

ـ لعله كاذب فيما يقول يا سيدي .

(لماذا تصدقه قبل ان تستيقن قوله ؟) .

ـ بل هو صادق ، فقد احيينا في الليلة الماضية سهرة غنائية . وكانت هناك مغنية مشهورة . هذا صحيح لا نستطيع ان نكذبه . لماذا نهرب من الحقائق ؟

(انك تتشبث بحبال هوائية لتجد لقصورك عذرا) .

ـ لعله كان متخفيا يا سيدي .

(ان الرجل المتخفي يجهله كل انسان) .

ـ كان متخفيا ! من اعلمك بذلك ؟ هبه كان متخفيا ، كيف لم يلاحظه رجال الشرطة الذين كانوا هناك ؟ ان صورته وزعت على كثير من المراكز . ولو ازاحوا لثامه لعرفوه . لقد كان كالطائر الذي وقع في قبضة يدنا ثم فر مطلقا جناحيه في الهواء .

(ان لم تقبضوا عليه في المرة القادمة مت غيظا) .

ـ اعدك بان نكون اشد انتباها في المرة القادمة . انه الان يسخر منا ، ولكننا سوف نسخر منه فيما بعد . سوف نضع حدا لتلك التصريحات على الالواح الخشبية . لقد وردت علينا اخبار تؤكد انه سيقضي الليلة القادمة في منزل صديق . سنقبض عليه هناك يا سيدي .

ـ تصريح ـ

« ايها الاعداء ! انقضية فلسطين ليست قضية ثانوية كما تدعون . انها قضية العرب الرئيسية ، وبدون حل هذه القضية لا يفيد حل قضاياهم الاخرى . ان العرب لا يستطيعون صبرا على رؤية الضفة الغربيةوقطاع غزة يهودان وهم مكتوفو الايدي . ولا يمكنهم كذلك ان يصبروا على ما حل بالعرب الذين يعيشون في اجزاء اخرى من فلسطين . اننا ان صبرنا على ذلك كنا كمن يرى عضوا من جسده تسري فيه الغرغرينا وهو ينظر اليه في تألم وصمت حتى يبتر من جسده . لا يطمئن العرب الا اذا استرد الفلسطينيون جميع اراضيهم المحتلة وبسطوا سيادتهم وادارتهم عليها . لا مدينة في العالم العربي والاسلامي تذكر العرب بماضيهم وامجادهم حينما بلغت الاوج كمدينة القدس اذ فيها قبة الصخرة المتالقة التي تبهر الانظار والتي تشبه برعما فنيا نابتا من جذع السعادة . وفيها المسجد الاقصى الذي احرقتموه بحجة البحث عن حجارة قديمة لا قيمة لها بجانب المسجد الذي اقيم عليها ولا تساوي الجهد الذي بذل من اجل البحث عنها . وفيها كنيسة القيامة كعبة المسيحيين من العرب . ان القدس قلب فلسطين النابض بما تدخره من ذكريات تاريخية خالدة وبما تبديه من تعابير روحية سامية . ان فلسطين بدون القدس كجسم بلا روح . ولا بد من استرداد بقية الاراضي المصرية والاراضي السورية التي سيطرتم عليها . »

ـ مطاردة ـ

ـ هل عثرتم على صالح رشيد في منزل صديقه ؟

(بشرني ، وقل : نعم . ولكن نظراتك كئيبة كماري) .

ـ كلا ، اننا لم نجده هناك . لقد بحثنا عنه في كل مكان من المنزل فلم نجده .

ـ واذن فالاخبارية التي ارسلها الينا رجل مجهول في شأن وجوده في منزل صديقه هي اخبارية كاذبة .

(آه ! لقد كذبنا الخبر ذلكالرجل المجهول اللعين وضحك علينا) .

ـ لقد ظننا ان صالح رشيد اشتاق الى صديقه فزاره في بيته وقضى ليلته عنده ، ولكننا خدعنا .

(وهذا يعد عبثا بنا) .

ـ اخشى ان يكون صالح رشيد هو الذي ارسل الينا تلك الاخبارية ليعبث بنا .

(انه خداع ساخر ، انه لا يكترث لنا ، كأننا لا شيء في نظره) .

ـ هذا ما خطر في بالي انا ايضا يا سيدي .

ـ ان تصريحه الاخير غاية في الخطورة . انهيحث الاهلين من العرب على الثورة ضدنا . ينبغي لنا ان نقبض عليه باسرع وقت ممكن والا تمادى في صراحته وجراته .

ـ سنبذل اقصى مانستطيع من جهد يا سيدي .

ـ تصريح ـ

« اسمعوا ايها الاعداء ! سيحتفل بعرس صديق لي في ليلة قريبة جدا . وسأكون واحدا من المحتفلين . فان كنتم بارعين في القبض على من يناوئكم ويثور عليكم فاستعملوا الطرق المحكمة التخطيط للقبض علي . انني اؤكد لكم انني سأكون بنجوة من كيدكم وبحثكم . لقد مهدت لكم سبيلا الى اعتقالي لاريكم انكم اعجز من ان تتغلبوا علي . انه صديق عزيز جدا علي كذلك الصديق الذي فتشتم منزله فلم تجدوني فيه . واود ان ازيدكم علما انني كنت قد قضيت ليلة في منزل صديقي هذا ، ولكنني لم انم هناك في الليلة التي فتشتم فيها منزله . وفي هذه المرة سأحضر عرس صديقي الاخر ، ثم اهنئه بزواجه واخرج من منزله . لا شك انكم تتلهفون شوقا الىمعرفة اسم ذلك الصديق ومكان اقامته ، ولكن هذا من اسراري التي لا يمكنني ان ابوح اليكم بها . ان اصدقائيكثيرون، ولكن الذين يريدون انيتزوجوا منهم قليلون . وليس عليكم الا ان تعملوا عقولكم حتى تهتدوا الى الحقيقة .

لا تستثيري الجراح

★

اخادع ما عشت صمت فؤاد — تعـلق حسنك غض الاهاب
ليال تمر وقلـب يحـن — وفي غربـتي عنك هم وصاب
باي شراع هـوى تبحرين — هنـاك بعيـدا وراء السحاب
وفي اي ارض سكنـت واي — طريـق سلكت ومن اي بـاب
سأسال عنك الهوى يا حبيبي — سأسأل عنك الربا والهضـاب
ألملم ذكراك بعـد الرحيـل — واغفـو على حلـم مستطاب
فكم كنت أرغب لقياك طيفا — فخابت منـاي بتلك الرغاب
فلم تبق الا ثـوان بعـامي — ويطفأ نـوري غدا في الضباب
غدا يقفـر الدرب منا ومنها — ويطوي ليـالي هوانـا ركاب
تعالي اسكبيني على شفتيك — بأهنا لقـاء واحلى رضـاب
وبحـة نـاي ... تـرن — وشوق يثير الاسـى والعذاب
نشيج بصدري يغص بقلبـي — وآه تحـرك جمر العتـاب
وعشرون عـاما ابيت السلام — وبعـدك لا امـل او طـلاب
اتيت الى الاربعـين بعمـري — وعن نارجرحي امطت الحجاب
أبعد انطفاء شبابي رجعـت — وبعد احتراقي: ضنى واغتراب
وقد جف في نداء الحيـاة — واجفل من خطوتي الشبـاب
ودلت قلبـي امانـا ونعمـى — ونهنهـت عمري رحيقا مذاب
حنانيـك لا تستثيري الجراح — ولا تضرمي في سكونـي العذاب
فـلا الدهر انصفنـا بالتلاقي — ولا الدهـر اسعدنـا بالايـاب
فمـا ضر قلبـك لو جئتنـي — وكنت بعمري الشذى المستطاب
تقولين : جئتـك يا كذبـة — تظل علـى موعـد من سـراب

حمص ـ سورية — رئيف محرم

انني على يقين بان صراحتي هـذه لا تفيدكم في البحث عني . وسأذكركم فيما بعد بقولي هذا . سأظل اكتب تصريحاتي على الالواح الخشبية واقاوم شروركم وجرائمكم انا ورفاقي حتى تفكروا فيما تقومون به من ظلم واعتداء وقسوة في معاملاتكم مع بني الانسان ، فتغيروا الخطة التـي اتخذتموها منذ سنين طوال لاخضاعنا لغطرستكم وارهابنا باعتداءاتكم بغية ان تنالوا ما تبتغون ».

وقد حضر صالح رشيد عـرس صديقه واحتفل مع المحتفلين وابتهج مع المبتهجين في امن وسلام بعيـدا عن اعين الرقباء ، بينماكان الاعـداء يبحثون عنه بين المحتفلين بعـرس رجل غير صديق صالح رشيد .

عمان ـ الاردن — عبدالحميد الانشاصي



ابن المقفع : مصلح صرعه الظلم

تأليف احمد علبي ــ ١١٢ صفحة من القطع المتوسط ــ من منشورات « سلسلة المصابيح » ــ بيت الحكمة ببيروت

في سنة ١٩٦١، ومنذ ثلاثة عشر عاما، لقيت مؤلف هذا الكتاب: الاديب الاستاذ احمد علبي ، في كتاب له عنوانه : « ثورة الزنج . وقائدها علي بن محمد » ، من منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت . ولقيت في كتاب ثورة الزنج ــ يوم ان قرأته حين صدوره ــ اهتماما كبيرا من الباحث احمد علبي بكل ما كتب حول الثورات الاجتماعية في الاسلام، فلم يفلت من يديه الباحثين ، ولا من عينيه الفاحصتين كتاب في هذا الموضوع ، او حوله ، او يقاربه . بل لم يفلت منه مقال في مجلة عربية كانت ام اجنبية . فهو يستانس بمقال لي كنت قد نشرته في مجلة « الكتاب » ــ التي كانت تصدرها دار المعارف ــ في عدد يناير ١٩٥٣ عنوانه : « ثورات في المجتمع الاسلامي » فيرجع اليه ، ويقيده في ثبت مراجعه ، كما قيد مقالات في مجلات اخرى للدكاترة والاساتذة طه حسين ، فيصل السامر ، صلاح خالص ، محمد عبد الله عنان ، ابراهيم الفحام ..

واعجبت بمؤلف كتاب « ثورة الزنج » وبمنهجه في البحث ، وبعقله المرتب المنظم ، كما اعجبت باستنباطاته الذكية ، ولمحاته القوية . وزاد اعجابي باسلوبه العربي المبين المشرق ، الذي لا عوج فيه ولا التواء ، ولا غموض ولا ابهام . كما اعجبت بالروح العربية السارية في كتاب الاستاذ احمد علبي وفي كتاباته . فهو لم يصطنع في الحوادث التاريخ الميلادي ــ على نحو ما يفعل الناقلون عندنا عن مصادر اجنبية ، مما يفضح سرقاتهم ، ويكشف عوراتهم ! وانما اصطنع التاريخ الهجري وحده ، وقال في صدر كتابه معللا لذلك : « وقبل ان نختم هذه المقدمة، نود ابداء ملحوظة ، وهي اننا اعتمدنا السنوات الهجرية وحدها في طول هذه الدراسة . ولم نفعل ذلك لقصور او اهمال ، انما رأينا انها تساعد القارىء على تتبع الحوادث في تسلسلها ، دون ان يضيع بين التاريخين الهجري والميلادي . هذا مع العلم ان ثورة الزنج قد قامت في القرن التاسع الميلادي ، وذلك على وجه الدقة بين عام ٨٦٩ ، ٨٨٣، وقد اشرنا الى ذلك على غلاف الدراسة .. »

وظل اعجابي بالباحث احمد علبي وبالالتاء الفكري معه قائما ، وان كنت لم اسعد منه بلقاء مادي . وكيف اطمع منه بمثل هذا اللقاءالاخير، وهو واحد من مئات المؤلفين العرب الذين اقرأ لهم ، واعجب بهم، ثم لا تظفرني الايام منهم بلقاء .. فلا تزال مخيلاتنا وملكاتنا توهم لهم صورا مادية هي منتزعة من وحي قراءاتنا لهم ، والله اعلم بحقيقتها ! وما كنت انا والاديب الباحث احمد علبي الا كعابرين ، كل منهما في سفينته ، يجتاز احدهما بصاحبه من فوق مركبيهما ، ثم يمضيان . ولا يبقى الا انطباع الفكرة الخالدة ...

ومرت الايام ، بل قل مرت السنوات ، واذا بي في العراق واحدا من عشرات المؤرخين والباحثين في التاريخ الذين دعتهم « الجمعية العراقية للتاريخ والاثار » في جامعة بغداد لعقد مؤتمر دولي يبدأ من الخامس والعشرين من شهر اذار ١٩٧٣ . واذا بي وقد حل موعد المؤتمر التقي بعشرات من المؤرخين العالميين والمستشرقين كنت اتمنى لقاءهم . واذا بي في اليوم الثامن والعشرين من اذار ــ مارس ١٩٧٣ ــ اجد شابا مهذبا ، هادئا ، متزن الخطوات ، والكلام يقدم نفسه الي باسم « احمد علبي » ، ثم يشفع ذلك بتقديم كتاب من تاليفه كتب على صفحته الاولى بخط واضح كبير الحروف الاهداء الاتي : « الى الاديب الذي اينعت خلف ريشته بساتين للروح زاهرة . الاستاذ محمد عبد الغني حسن ، مع وافر مودتي وتقديري ــ احمد علبي » .

يا لله ! ويا لطف الاقدار ! بعد اثني عشر عاما التقي ــ على غير ارضي ، وان كانت العروبة ارضا واحدة ، باديب كنت قرأت له ، واعجبت به ، وان كنت لم اقدر ان القاه يوما لقاء الجسد ، وان اراه رأي العين .. ولكن هانذا الان ، وعلى ضفاف دجلة ، مع الباحث احمد علبي مؤرخي القديم ، ومع كتابه الجديد : « ابن المقفع : مصلح صرعه الظلم » ...

ولعلك يا قارئي الكريم ادركت الان ، ومن عناوين الكتب لا غير ، اي باحث من الرجال هو الاديب « احمد سهيل علبي » تطويلا ، أو « احمد علبي » ايجازا ؟ انه شاب يكتب عن ثورات اجتماعية في الاسلام اولا ، وعن اديب رائد من رواد حركة النقل والتعريب صرعه الظلم ثانيا ...

ومن ينكر ان عبد الله بن المقفع كان مصلحا اجتماعيا ، في المجتمع العربي الاسلامي الاول وفي القرن الثاني من الهجرة ؟ الم يضع رسالة في صحابة الخليفة وبطانته يقول فيها انه وفد في جماعة من اعيان البصرة على دار الخلافة ببغداد في ايام « ابي العباس » ، فكان مع فريق يابون مقابلة الخليفة والدخول عليه ، لسوء بطانته ؟ الم يقل في هؤلاء البطانة : « ما رأينا اعجوبة قط اعجب من هذه الصحابة ». فالواحد منهم قد يكون خاملا في النسب والبلاء ، وهو « مسخوط الرأي مشهور بالفجور في اهل مصره » ومع هذا « يؤذن له على الخليفة قبل كثير من ابناء المهاجرين والانصار ، وقبل قرابة امير المؤمنين واهل بيوتات العرب » . واوجب ابن المقفع على من يصاحب امير المؤمنين انه « رجل فقيه مصلح ، يوضع بين اظهر الناس لينتفعوا بصلاحه وفقهه » بحيث تستقر الامور في نصابها « ولا يكون للكاتب فيها امر في رفع رزق ولا وضعه ، ولا للحاجب في تقديم اذن ولا تأخيره .. » . وهذا درس لرؤساء اليوم ووزرائهم في كل عصر ، متى اريد الاصلاح ، لا في عصر ابن المقفع وحده .

ويعترض احمد علبي على الدكتور طه حسين حين يصف رسالة الصحابة هذه بانها « توشك ان تكون برنامج ثورة » ، حينما تحدث عن ابن المقفع في كتابه « من حديث الشعر والنثر » ، ويقول صاحبنا في اعتراضه : « ولا ندري اذا كان يصح ان ننعت هذه الرسالة لابن المقفع بالثورية ، فلا نرتاب ان آراءها جريئة ، لكنها الى ان تقترن بالصفة الاصلاحية اقوم من ان تقترن بما ليس فيها من تخطيط ثوري » .

ومع ان طه حسين لم ينعت هذه الرسالة بالثورية ، وانما احتاط فجعلها توشك ان تكون برنامج ثورة ، الا ان اديبنا احمد علبي له شخصيته المستقلة الرزينة في النقد والاعتراض ، وهي شخصية تبدو في مواضع غير قليلة من الكتاب ..

واذا كان باحثنا احمد علبي يميل الى الدراسة العلمية الجادة ، وبالمنهج الواعي ، كما يبدو من خلال كلامه غير مرة ، فما باله ــ غفر الله له ــ يجافي المنهج العلمي وهو ينقل عن غيره من الناقلين ، ولا يرجع الى الاصل المنقول عنه ، كما يحتم المنهج ؟ ان كتاب « تنسر : اقدم

نص عن النظم الفارسية قبل الاسلام » يتحدث المؤلف عنه نقلا عن محمد محمدي في كتابه « الادب الفارسي « ، فلماذا لا يكلف الاستاذ احمد علبي نفسه البحث عن كتاب « تنسر » ، والافادة منه مباشرة ، بدلا من الرجوع الى باحث اخر اطلع عليه ، ونقل منه ؟ . وكتاب « تنسر » بحمد الله ـ موجود غير مفقود ، وهو من منشورات جماعة الازهر للنشر والتاليف . وبهذه المناسبة ذكر احمد علبي ان « كتاب تنسر » نشر في القاهرة سنة ١٩٥٢ . وهنا وهم ، فالكتاب منشور في سنة ١٩٥٤ . ولعل هذا الوهم نقله باحثنا اجمد علبي ، عن الباحث الذي نقل عنه ..

وفي سلسلة هذا النقل عن غير الاصول ، نقل باحثنا احمد علبي كلاما لابي الريحان البيروني . وهذا لا غبار عليه ... ولكنه لم ينقله عن كتاب البيروني مباشرة ، بل نقله عما اورده المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام في مقدمته لكتاب « كليلة ودمنة » ، طبعة دار المعارف الممتازة المصورة .

وفي سلسلة هذا النقل ـ غير المنهجي ايضا ـ يتعرض باحثنا احمد علبي لابيات ثلاثة نظمها ابن المقفع في رثاء احد اصدقائه ، وهي مما رواه ابو تمام في حماسته ، وهي في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي بتحقيق عبد السلام هارون ، صـ ٨٦٣ ... ولكن اديبنا ينقل عن خليل مردم بك في كتابه « ابن المقفع » ، مع ان الحماسة وشرحها منه على اطراف التمام ..

ولقد لقي مصرع ابن المقفع ومقتله الغريب في ملابسات غريبة تحقيقا كبيرا من اديبنا اللامع الاستاذ احمد علبي ، وهو يثير عدة اسئلة حول هذا الحدث المفجع النازل بواحد من احرار الفكر : أهو الامان الشديد اللهجة المحكم الحلقات ، الذي دبجه ابن المقفع بناء على رغبة عيسى ابن علي ؟ أهي الضغينة المستعرة في صدر والي البصرة على كاتبنا الجريء ؟ ام انها الرسالة الخيرة : « رسالة الصحابة » ، التي خاطب بها امير المؤمنين في كثير من الدهاء والحنكة والشجاعة ؟ ام ترى انها تلك التهمة الموضوعة قيد الاستهلاك ، تهمة الزندقة التي كان يرمي بها المصلحون احيانا في عصره ؟

وبعد ! فهذا كتاب يجب ان يقرأ ، وان يوعى ما فيه من همسات وصرخات ضد الظلم . ونحن في انتظار المزيد من بحوث اديبنا وباحثنا اللامع المؤرخ احمد علبي نرجو ان نلتقي معه دائما على طريق العلم والفكر والادب اللباب ..

القاهرة — محمد عبد الغني حسن

•

حديقة حب

تاليف رياض حنين ـ تقديم سعيد عقل ـ ٩٤ صفحة ـ منشورات دار المكشوف ببيروت ـ مطابع الجبل في درعون حريصا بلبنان

امام « حديقة » رياض حنين ، وقبل ان الج محرابها واتنقل بين مساكب ازهارها ودنان عطورها ، استوقفني كبيران : « دار المكشوف » و «سعيد عقل » . قلت لقد توفق السندباد الماهر فأصاب النسرين بطلقة واحدة، وتوقعت العثور على احداث ضخمة وكنوز دفينة ، اذ ليس من السهل ان تلتقط المجد من جانحيه فتضيف مؤلفا جديدا الى خزانة « المكشوف» الزاخرة بالنفائس الادبية ، وتتوج انتاجك بمقدمة من شاعرنا الكبير، في آن معا . كنت اكبر على « رياض » هذه الصيدة الموفقة لو لم افاجأ بالاهداء « الى كل حديقة حب لا تذبل ازهارها » فاذا بي امام



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٨ ليرة لبنانية

•

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

•

في الخارج العربي : ٤٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٨٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ٢٠ دولارا بالبريد العادي
٤٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الأنصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج ٨٠ ل.ل. او ٤٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

الادارة : ٢٢٣٨١٩ — Dle : 225139
المنزل : ٢٢٥١٣٩ — Dir : 223819

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

احدى امنياتي ، واي قلب لا يتمنى بان تظل حديقة حبه ، ازلية العطر، اقوى من الموت ؟

تسألني يا قارئي ، وماذا بعد ؟ فاليك شيئا من كل شيء فانا مثله ، لا ادري ماذا اقول وماذا لا اقول . وحسبي ان استعرض بعض ما وجدت وهو القليل القليل مما احسست واكتشفت في جولة سحرية بين اضاميم النرجس والياسمين ، والذكريات والمواعيد ، ودفء الحب والشوق والحنين . فالحديقة زاخرة بالجمال الفني والتجاوب التلقائي بين الشاعر والمرأة ، والفن والجمال ، والروح والجسد . تتجلى فيها الرابطة الروحية القائمة بين الحب وكل ذرة من ذرات الطبيعة الحية . في كل كلمة لون وفي كل عبارة نغم يتماوج في بحور العاطفة وعمقها ، في اخضرار الاسطر واشراقة الحروف ، في جلاء الصورة وروعة السبك والتعبير . صفت فيها الرموز وتجسدت الرسوم المنحوتة من معدن الخيال وطينة الواقع فاكتملت المعادلة الازلية بين التمني والحرمان والحب والعذاب والزوال والبقاء . انها ، ولا ريب ، احدى حسان الربيع « ولا بدع فان الحب ربيع » .

عرفت رياضا منذ سنين طويلة وتتبعته ، في جولاته الصحفية ، في كتابه الاول « وبقيت الذكريات » المميز بدقة الوصف وبراعة الرسم وحلاوة السرد والاداء ، في اصالته اللبنانية وجرأته ودفاعه عن القضية حتى التفاني ، في طيبته واندفاعه ووفائه للاصدقاء ايام المحن والشدائد — وهي محك الرجال والاصدقاء — واحببت السماع الى اخباره فهو اذا تحدث حسبت ان كل نبضة في عروقه تتكلم وانك امام موسوعة شاملة فيها من كل فن خبر ، وما اكثر اخباره وامتعها ... من خلال هذا كله اوشكت ان اصدق انني قرأت سفر هذا الانسان كاملا وحصرته في قمقم معرفتي ولم أأبه بقوله « غدا ، اطير الى بلاد جديدة في القلب الاخر من الشمس » ، وما حسبت ان هذا الجني المحصور في قمقم معرفتي مارد ذو مواهب غزيرة وقدرات وكفاءات عديدة . وانه شاعر وجداني مرهف الحس ساحر ، اجل ، انه شاعر وان فاتته القافية وغاب عنه رنين الروي ... ما حسبت ان هذا السندباد الانوف ، الكثير التنقل والحركات ، المتنفس كالنشابة من وتر القوس ، طائر سجين حب وقتيل هوى ، وانه غارق في سويداء وجدانياته من اخمص قدميه حتى ناصيته والى آخر خصلة من شعره الابيض الاسود المتماوج ... ان يأسر الحب قلب رجل ويكبله في زنزانة امر عادي حقا وداء طالما اصابت الكثيرين علته ، اما ان يؤسر الجني الاسطوري الذي ينطلق من القمقم انطلاقة المارد المكابر والذي يفلت من الزرد المثلث — على حد قول الاقدمين — فامر لا يهون تصديقه ... ففي « حديقة حب » تجسد السندباد مثل الصاروخ الموجه تسيره قدرة الحب الخفية فيمشي طوع ارادتها . لقد تغلغل الحب في اعماق اعماقه ، في انفاسه وتطلعاته ، في مأكله ومشربه ، وفي الخلايا المتمة من عظامه ، فجعل منه شاعرا وجدانيا ، عذريا ، ورومنطيقيا في آن واحد . خياله خصب ووصفه دقيق ممتع وصوره جلية خلابة . وانا ما عرفت مثله اديبا غنيا بالذكريات وبالمفاجئات ، انه يعيشها ، يحياها فهو ابن امسه احيانا وابن حاضره وغده احيانا اخرى .

اليست « حديقة حب » وهي مختارات مما كتبه بين عامي ١٩٥٧ و ١٩٥٨ شاهدا على ما نقول ؟ ترى هل هي كل ما كتب في تلك الحقبة وقد وقعت في لبنان احداث مرعبة مؤلمة ؟ هل انساه الحب اصالته اللبنانية ام ان له فيها جولات ما زالت في اسرار وجدانياته ؟ ومهما يكن ، فلقد زرع في حديقته هذه قلبه وروحه وعاش ، وما يزال ، في ديمومة حبه ، مسيرا غير مخير وحسبنا قوله « انا في ضياع دونك .. وشيء مني افتقده في فراقك .. ففي كل يوم اشعر ان حبك لك اكثر واقوى واروع من اليوم الذي ولى .. احبك حيثما وجدت واني التفت ، حبي للجمال ... احبك في الجو حبي على الارض بجوارك .. ووجودي قبلك محذوف من خانة العمر ... »

وتفيض في جوارحه سويداء الرومنطيقية فيصاب بداء شعرائها وكبريائهم وضعفهم وانينهم المذبوح فيقول « فقير انا ، لكن غني بقلبي ، لا انظم القصائد ، انما شاعر عبقري بجمالك ، ولست شهيرا ، ومؤملي ان اخلد فيك » . اليست هذه الاناشيد شعرا وغنى ؟ واذا لم تكن فكيف يكون الشعر وكيف يكون الغنى ؟ واذا ما اراد التعبير عن نهم اشواقه فلا زاجر لنزواته ولا حدود « اقبلك من ناصيتك الى اخمصيك ، عداد ما في القبة الزرقاء من نجيمات مضيئة » — اعجبتني كلمة «نجيمات» وعدد « النجوم » الظاهرة للعيان معروف لدى علماء الفلك اما عدد « النجيمات » فلم يتوصل الى حصره العلم بعد — واذا ما شرد عن نزعته الاصيلة شرد في نشوة حالمة .. « فانت لست امرأة ، ولا حبيبة ، ولا من هذا الكون ، انت اكثر من ذلك بكثير » ..

وقد تكون الصورة التي رسمها للمرأة من اجمل لوحاته « ستفاجئين بالفنان صنيعك ... وقد صورك عذراء وشيطانة ، قوية وضعيفة ، ضاحكة وعابسة ، واقعية وخيالية .. كما انت .. كما يراك هو ... » ان في صدق هذه المفاجأة وتمجيد هذا الصنيع تناغما وثيقا للمد والجزر في معادلة العطاء بين الفن والجمال .. ثم الا ترى البراءة الحلوة والاعتراف الصريح في هذه الصورة « مذ عصفت في كياني شبه لي اني خلقت انسانا اخر ... اليك اعزو اكتساب مكارم نفسي وتصاهل غبطة روحي .. سعادتي فيك .. وجنتي انت .. رنين شبابي واناشيد لذتي ، وآفاق طموحي ، انت ، وفي حبي ارى خلود ذاتك » .

وبعد ان يجوب كل افق من آفاق حبه يعاوده التوق الى الجديد المجهول ويحس بمخاض عطاء لم يولد بعد « اريدك لحبي مطل انجذاب جديد متجسد .. وتكفيك الان هذه الكلمات من حديقة حبي الذي لا كفاية له ... »

اما مواعيد حبه فرحلات الى جزر جديدة « ففي كل موعد ، نجنح عن هذه الزاوية ، في رحلة حبنا ، صوب جزيرة جديدة ... وهي ربيع عمري الدائم ، ثملا عيني بمهرجان الضوء .. » وبعد المواعيد ذكريات وتساؤل « ... ووقفت اسأل الباب عنك ... واسأل الحجرة، كل حجارة البيت المستأثرة بحسنك الذي ما بعده بعد .. » ويتبع الذكريات انعتاق جناح الى سفوح الواقع ، ويقلب البوح السر ، وينقلب الشوق الصوفي لقاء ووصالا « متى يا اميرتي .. نختصر بيتنا في واحد ؟ متى نتحد جسدا وروحا ؟ ونهيم في عناق مستباح ... ولا نكف ... »

وبعد ، فالحديقة الزاخرة بجنون العذريين والعباقرة والفنانين لا تخلو من حلاوة المراهقين ونزواتهم « ... وكلمة حب ... لا تفسير عندي لحالاتها الا حرارة ، ولبانها الا بقاء » . و « انا امتزجت فيك كما قطعة السكر في كأس ماء ... كما الحروف والكلمات على صفحة ورق ... كما الشمعة وخيط النور ... »

ومن الاشجار البواسق في « الحديقة » وصف مقتضب للفراق « فراقك سأم مضى ... جرح لا يرحم .. » ولعطر الحبيبة « عطرك المفضل بات مفضلا لدي على سائر العطور .. من اندر معطيات العلي عطر الروح المجلبب بعطر الجمال .. وانا مخطوف بعطريك معا الى عالم غير عالم الانس ... » ولدموعها « دموعك الغوالي ... استنفرت دموعي ... فازكت النار في صدري ... لسواك كانت عيون تبكي اما انت فكانت لك مقلتان مغرورقتان بنضارة مجرحة » . ويصف الغيرة بهذا المقطع الرائع « ما للغيرة ، تفح علي كالافعى وتلدغني بسمها ، لا تزيح من دربي ؟ اغار عليك بدم مجمر .. » انظره وقد عاد من سكرته ومن صحوته الشاردة وعاودته كبرياء الرجال « لم الج مملكة حبك معصوب العينين ، بل ولجتها وثوبا واثقا ، لا يقاسمني عرشك مقاسم ، وتاجك وصولجانك ... انا كولمبسك مكتشف روعتك الموسرة » .

عفوا يا قارئي اذا ما طال بي التطواف ، فانا لم اقل كلمتي بعد ، وكيف اوفي « الحديقة » حقها وهي متسعة الارجاء عبر عوالم الجمال

وجزر العطر ، وابعاد النجيمات الحالمة . فيها من اماني وامانيك ومن اغانينا والحاننا . اربع وتسعون ضمة من الورد والزنبق والندى والغمام والليل والصباح وكل شيء في الوجود وما وراء الكائنات .. ادعوك ، يا قارئي ، الى رحلة في « حديقة حب » برفقة عاشق اصيل وملهم خليق وستعود من رحلتك كما عدت انا بي ارتواء وظمأ وشوق الى طلب المستزيد ، فالى مهرجان الحب ادعوك يا قارئي ، والخ .

عاطف كرم

•

شرح ابيات مغني اللبيب

تصنيف عبد القادر بن عمر البغدادي ـ تحقيق عبد العزيز رباح واحمد يوسف دقاق ـ ٨٢٨ صفحة من القطع الكبير ـ نشر مكتبة دار البيان مطبعة زيد بن ثابت ـ دمشق ١٩٧٣

كم افرح عندما التقي باحد زملائي القدامى في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، عاكفا على الكتابة في قاعة المؤلفين ، يحقق التراث ، يغوص في بطون الكتب ، ينقب عن الشوارد ، يصنف ويبحث ويراجع ...وكم اتألم عندما ارى اخر قد تخرج من الجامعة ، فاعتزل العمل الفكري ، واستسلم الى روتين الوظيفة ، وانصرف الى حياة المقهى الرتيبة المملة ، يقتل الوقت ، كان الوقت عدو له ..

صادفت في الظاهرية زميل الدراسة الاستاذ عبد العزيز رباح ، وهو واحد من هذا النوع الاول الذي تحدثت عنه ، يقلب مجموعة من الصور لاحدى المخطوطات ، يحققها ويدرسها بدقة وامعان ، فتعانقنا عناق الاخوين ، بعد غياب دام اربعة عشر عاما ، سلخ قسما منها في المملكة العربية السعودية ، مدرسا للنحو في كليتي الشريعة واصول الدين في الجامعة الاسلامية ، بالمدينة المنورة .

لقد حدثني عن الاعمال التي اضطلع بها هناك ، وكيف تعرف على مكتبة السيد عارف حكمت الفنية بالمخطوطات ، فعكف عليها يصورها بنفسه ، ولم يكن ممن مارس هذه الصناعة من قبل ، لعدم توفر التصوير في مكتبات المدينة المنورة ، مبتدئا بتصوير كتاب « السنة » لابن ابي عاصم ، و « شرح ابيات مغني اللبيب » لعبد القادر البغدادي ، صاحب خزانة الادب ، ثم اتبعهما بتصوير طائفة من نفائس المخطوطات الموجودة في المكتبة المحمودية ورباط مظهر ، فاستطاع بذلك ان يخرج هذا التراث من عزلته وقوقعته ، وان يحفظه بالتالي من عوادي الزمن .

وبعد عودته الى دمشق ، عكف مع زميله الاستاذ احمد يوسف دقاق على تحقيق مخطوطة « شرح ابيات المغني » التي حملها معه ، فوجد انها تقع في ٥٤١ ورقة من القطع الكبير ، مكتوبة بخط نسخي عادي واضح ، اما الشواهد فكتبت بالحبر الاحمر ، وضبطت بالشكل غير الكامل ، وصدرت بفهرست للشواهد مرتبة على الحروف الهجائية ، كتب الشاهد فيها كاملا .

لم تكن نسخة المدينة المنورة هي الوحيدة ، فهناك نسخة ثانية جيدة في ايا صوفيا بتركية ، وثالثة في دار الكتب المصرية بالقاهرة تقع في مجلدين ، وقد عارض المحققان هذه النسخ الثلاث بعضها ببعض ، لكنهما اعتمدا اكثر ما اعتمدا على النسخة التركية التي صورها الدكتور عزة حسن مدير دار الكتب الظاهرية ، باعتبارها قريبة من عصر المؤلف ، ومقارنة ومعارضة على نسخة البغدادي الاصلية التي كتبها بخط يده ، وهي فضلا عن ذلك ، قليلة الخطأ ، جيدة الخط ، ولذلك جعلاها النسخة المقدمة للطبع ، بعد ان اثبتا مواطن الخلاف بين النسختين (نسخة ايا صوفيا ونسخة المدينة) ، كما ترجما لكثير من الشخصيات التي وردت في تضاعيف الشرح ، بالاضافة الى تخريج الايات والاحاديث الواردة ، وتفسير بعض الكلمات المبهمة ، واهتما بترجمة المصنف عبد القادر البغدادي ، فتحدثا عن حياته وتنقلاته وجوانب عبقريته ونبوغه وثقافته ، وسردا قصة تأليفه لهذا الكتاب ، علما بان السيوطي قد سبقه الى هذا الشرح .

الفرق بين شرح السيوطي وشرح البغدادي : لقد شرح البغدادي ٩٤٦ بيتا من شواهد مغني اللبيب لابن هشام ، بينما شرح السيوطي ٨٧٩ بيتا ، اي باسقاط ٦٧ بيتا ، ولعله اسقطها لان صاحبها ممن لا يحتج بشعره لتأخر عصره كالمتنبي مثلا ، او للاختصار ، او لجهل قائله ... اما البغدادي فلم يغفل بيتا مما ورد في المغني ، اضف الى ذلك ان السيوطي كان كثيرا ما يورد الشاهد ثم يسكت عنه ويتجاوزه الى سواه ، او يكمله ان كان ناقصا ، او يورده ثم يتكلم عنه كلاما مقتضبا ، لا يشفي غلة الباحث ، لان غايته الاختصار كما صرح في مقدمة كتابه .

ويشير المحققان في المقدمة الى التشويه البليغ الذي اصاب نسخة شرح شواهد المغني للسيوطي من تحريف وتصحيف وسقط ، على يد من وقف على تجديد طبعها ، وهو الاستاذ ظافر كوجان ، حتى خيب امل من كانوا ينتظرون ظهورها ، لكنهما على الرغم من ذلك كله ، فقد اضطرا للرجوع اليها ، مع الاشارة الى شيء من تحريفاتها وتصحيفاتها .

لقد اصدر المحققان الجزءين الاول والثاني من مخطوطة البغدادي في ٨٢٨ صفحة ، وسيصدران الباقي منها في اربعة اجزاء اخرى ، عاقدين العزم على استكمالها وختامها بفهرس تفصيلي للايات والاحاديث والموضوعات والتراجم والاعلام والاماكن والكتب والمصادر والشعر والشواهد .

ان اضطلاع الزميلين العزيزين بهذا العبء الكبير في نشر التراث ، عمل يشكران عليه كل الشكر ، ولاسيما ان مغني اللبيب لا يمكن ان يستغني عنه اي باحث في اصول النحو او دارس او طالب جامعي ، وكم تعبنا ، في ايامنا ، بمراجعة اوراقه الصفراء ، وطباعته السقيمة ، وشواهده الصعبة المبهمة .. اما اليوم فقد طبع طبعات

حديثة ، وحلت اشكالات شواهده الكثيرة ، وتوافر على تحقيقه وتحقيق شواهده باحثون قديرون ، حتى صارت مراجعته من اليسر والسهولة بمكان .. وفق الله الزميلين الكريمين لاخراج ما تبقى من ابياته ، لينفعا بها النشء المتعطش لمراجعة مثل هذه الكتب القيمة التي قل نظيرها .

دمشق عيسى فتوح

•

شعاع من طه حسين

تاليف ثروت اباظة ـ ١٨٦ صفحة ـ منشورات روز اليوسف بالقاهرة

اذا اتيح لك ان تقرا اديبا فاعجبك ما يكتب فانه لا بد من ان تحب هذا الاديب ، حتى وان لم تره ... وينشأ بينك وبينه علاقة وثيقة تزداد مع الايام . وكلما قرات له او عنه اكثر كلما ازداد حبك له وتقديرك لادبه ... فاذ به وقد صار مفضلا عندك .

وحبك لهذا الاديب يجعلك لا تقرأ ما يكتبه وكفى ، بل يدفعك لان تقرأ ما كتب عنه .. باقلام اصدقائه .. وتلاميذه .. ممن عاشروه وجلسوا اليه . استمعوا الى احاديثه ... وراوا عن قرب ، حياته ، وعرفوا عن كثب ، مواقفه .

وان كانت مواقف الاديب معروفة في اغلب الاحيان لقرائه وعشاق ادبه لانها مواقف تخصهم كما تخصه ... فمن منا لا يعرف مواقف طه حسين من التعليم والثقافة .. الى اخر هذه المواقف التي ملات حياته ، وملأ بهـا حياتنا .

ولئن كانت هذه المواقف معروفة ... فتبقى ثمة مواقف خافية ، لا يعرفها الا اصدقاء الاديب او من واكبوه في الطريق ... ذلك لان الاديب ربما يعتقد ان مثل هذه المواقف هي ملكه الخاص وليس لاحد غيره ان يعرفها او لعله يرى ان ذكرها سيجلب له المديح ، وهو اكثر الناس ترفعا عن المديح ، وفي غير حاجة اليه .

واذا كان البعض يتحدث عن نفسه ، مبينا ما فيها من محاسن ، ناسيا او متناسيا ما قد يلصق بها من عيوب ، فهو انما يفعل ذلك ليجذب الناس اليه حين يوهمهم بانه انسان فاضل .

مثل هذا ايضا يترفع عنه الاديب الحق . فالاديب الحق يخفي ما عنده من محاسن ، لا يراها . لكنه في الوقت ذاته يرى بحساسيته وشفافية روحه ، يرى ما في نفسه من عيوب ... يتحدث عنها بجراة ، ويعترف بها ويحاول جاهدا ان يصلحها او يتغلب عليها ويبسطها امام القراء .. دون تورية او اخفاء . ولا يرى في ذلك غضاضة قاصدا من وراء ذلك ان يفيد الناس مما افاد منه .

فان كان الاديب يتحدث عن عيوبه وينسى محاسنه ... فان من واجب اصدقائه ان يبرزوا هذه المحاسن ويبينوا مآثره ويوضحوا افضاله على الادب والفكر .

هذه خواطر راودتني وانا اقرا هذا الكتاب الذي يقول عنه مؤلفه بانه شعاع من طه حسين .

حياة طه حسين حياة واسعة عريضة ، غنية وثرية وكل ما كتب او ما سوف يكتب يبدو بمثابة لمحات او اشعة من حياته . ذلك لان كتابا واحدا لا يمكنه ان يجمع بين دفتيه حياة اديب عظيم مثل طه حسين ، مهما بلغ حجمه او عدد صفحاته .

لقد كتب طه حسين مؤلفات عديدة ، وضع فيها آراءه وافكاره . ما يؤمن به .. وما يدعو اليه .. ولكننا لا نحسب ان هذه كل ارائه او تلك هي جميع افكاره .

حياة الاديب ليست كتبه فحسب ، بل هي مواقفه مع الناس من القضايا العامة والخاصة . وهذه الحياة لا يمكن ان توضع في الكتب لان الكتب لا تسعها . فربما تسع الحياة الكتب .. ولكن الكتب لا يمكنها ان تسع الحياة .

حياة الاديب تتمثل فيما سطره بقلمه ، وفيما لم يسطره .. ما اظهره منها دون قصد ، وما اخفاه عن عمد ، او ما يمكن ان نستشفه من بين السطور .

طه حسين لم يكن بعيدا عن الحياة الادبية ، ولم يعش في برج عاجي ، كما يقولون ، لكنه شارك في هذه الحياة منذ ان وهب نفسه للادب .. ومن الوقت الذي اعتبر نفسه فيه مسؤولا امام الراي العام الادبي .

كان اذا رأى عملا ادبيا ذا قيمة علق عليه وابدى رايه فيه . فكتب مثلا عن « اهل الكهف » واعتبر مسرح الحكيم بداية المسرح العربي .

ويبدو طه حسين فيما كتب من نقد .. يبدو ناقدا حرا ومتحررا .. فالنقد عنده لا يعتمد على اسباب شخصية ، كما هو عند كثير من نقادنا ، ولا سيما في هذه الايام .

يتضح هذا من نقده لرواية زميله الدكتور محمد حسين هيكل « هكذا خلقت » فعندما تقرأ نقده لهذه الرواية تجد منهجه الواضح في النقد .. يعطي الحق لمن له الحق ، فان رأى حسنا استحسنه وان رأى عيبا ابان عنه ونقده بطريقة لطيفة لا تغضب من يوجه اليه النقد .. ولا تغضب نفسه .. التي لا ترضى بان تقول الا الصدق .

واذا مدح عملا ادبيا لصديق له ، او لاديب من غير الاصدقاء ، بين ما يدعوه الى هذا المديح بادلة واسانيد لا تقبل الشك . فهو يعيب العمل الفني لاسباب ، ويمتدحه لاسباب ، بيد ان الاسباب دائماموضوعية وليست شخصية .

طه حسين يقول رأيه دائما بصراحة ووضوح ورقة ايضا وكياسة بالفتين . ما رأيك في كاتب مثل طه حسين بلغ من المكانة ما بلغ ، تجده حين يمتدح « بين القصرين » لـ « نجيب محفوظ » يقول : ان كاتبا قبل نجيب محفوظ لم يتح له ما اتيح لنجيب محفوظ من نجاح . يقول هذا وهو اول من انشاوا القصة المصرية في اول هذا القرن . ولا يرى في ذلك غضاضة .

وهو يغاير الكثير من النقاد الذين ينقدون الاعمال الادبية دون ان يقراوها او يتفحصوها . ذلك انه قبل ان يكتب عن عمل ادبي يقراه مرة .. وربما مرات . فلا يحكم على الاثر الادبي بجزء منه وانما يستقصيه من اوله الى آخره قبل ان يقول فيه شيئا او يصدر عليه حكما ، على حد قوله هو نفسه .

ان الصداقة الوطيدة بين الدكتور طه حسين ويوسف السباعي لم تقدر على ان تجعل العميد يتجاوز عن خطأ في اللغة في روايات السباعي... فابان عن ذلك في اكثر من مقال تحدث فيها عن بعض رواياته . فاعجاب الدكتور طه بالفن الروائي عند يوسف السباعي لم يستطع ان يعفي هذه الروايات من هجوم طه حسين فيما يتصل باللغة.

هكذا كان طه حسين هو دائما الاستاذ الاصيل الذي يحاسب نفسه على رايه اولا وقبل ان يحاسبه احد . ان اديبا مثل طه حسين هــذه مواقفه لا يستغرب ان يصبح اسمه علما على الادب والفكر والثقافــة العربية . لقد تبوأ هذه المكانة لا باتجاه الادبي وحده ، وانتاجه بهـذا خليق ، وانما بما يروى عنه من مواقف صلبة عنيدة في الدفاع عـــن الثقافة والكتاب . يقول عنه « اراجون » الشاعر الفرنسي الكبيــر : انه كنز ضخم تعتز به الثقافة الانسانية لا الثقافة العربية وحدها .

ومن غير الممكن ان يتحدث شخص ما عن الادب العربي الحديــث ولا يجيء الدكتور طه حسين في مقدمة هذا الحديث . لو لم يكتب طه الا « الايام » لكان هذا حسبها وحسبه ... طه حسين كتب غير «الايام» الكثير وشغل النقاد طيلة نصف قرن من الزمان او ما يربو على ذلك.

لقد هاجم طه حسين في بداية حياته شعر شوقي . لان شعر شوقي لم يعجبه مع ان طه حسين نفسه كتب شعرا باسلوب موسيقي رنــان . بيد ان طه حسين عاد بعد ذلك فاعتذر عن هذه الفترة التي هاجم فيها شوقي وصرح بان بعض الناس قد دفعوه الى ذلك وهو في زهوةالشباب. اعتذر عن هذا الخطأ الذي وقع فيه ولم يجد في ذلك غضاضة.. وغيره كثيرون اذا اخطاوا تمسكوا بخطاهم .. وكان التمسك بالخطا يحيــل الخطا صوابا وكان الاعتراف بالحق ليس فضيلة عند اولئك الذيــن لا يعترفــون به .

تعارف الناس بشان كتاب « الايام » على انه سيرة ذاتية ولكــن لا يمكن وضع هذا الكتاب مع السيرة الذاتية بغير مناقشة ذلك ان طه حسين قدم حياته كقصة ومن واجبنا نحن القراء ان نستقبل هـــذا العمل كقصة لان مؤلفها يريد لها ولنا ذلك .

ان « الايام » رواية بكل ما تقوم به اركان الرواية . في هذه الرواية صراع الانسان مع الوجود .. لقد ضمت بين احنائها اشتجـار الانسان مع الحياة . ان الايام تستمع الى ما يروي طه حسين وترضخ لعـزمه وتلين لجبروته . وهو يغزوها مطمئنا لانه يحمل في نفسه شيئا يريــد ان يقدمه للعالم ، بل انه ينجح في ذلك نجاحا اي نجاح.

اذا كان الصراع بين الانسان والوجود يبدو واضحا في « الايــام » فان الصراع بين الانسان والبيئة يبدو واضحا في « دعاء الكروان » كما نرى الصراع بين الانسان مع نفسه في « اديب » فان شئت ان تــرى هذا وتحياه ... فلتقرأ هذه الروايات بفهم وعمق .. وانك لواجــد فيها كثيرا من المتعة والامتاع .

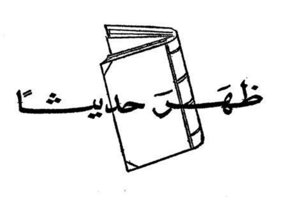
وفي « المعذبون في الارض » تبرز انسانية طه حسين . فالكتــاب انساني يهز الرؤوس الفارقة في الغنى هزا ويرج القلوب القاسيــة رجا .. هذه جميعها معان انسانية لا بد ان يعتنقها الكاتب ، فالكاتب *انسان اولا وقبل كل شيء*.

كم من كتاب فقراء اغناهم الادب بالمال من بعد فقر ، فما عــادوا يذكرون عن الفقر او الفقراء شيئا ، نسوا او تناسوا انهم كانوا فقراء.. ومن ثم نسوا اخوتهم الفقراء. لكن طه حسين هو طه حسين الاصيــل الذي لا ينسى ولا يتناسى .. فهو الذي عندما يصبح غنيا لا ينســى انه كان فقيرا . فلا غرابة ان نراه يهتم باولئك المعذبين ، يدافع عنهم يستثير القلوب الرحيمة اليهم ويصنع كل ما في وسعه من اجلهم .

لم تكن هذه فقط هي الالوان التي كتب فيها طه حسين بل كتــب ايضا القصص التاريخي « هامش السيرة ».. والترجمات .. وغيــر ذلــك .

وبعد ، فهذا شعاع من طه حسين ومن حياته العريضة الثرية، التي نرجو ان تسلط عليها الاضواء بالبحث والكشف ... من اصدقائه وتلاميذه ، فيكشفوا لنا عن جوانب من حياته ما زالت خافية .

القاهرة — راضي حكيم



● مساهمة الفكر الكلاسيكي في التحليل الحديث للتنمية الاقتصادية – تاليف الدكتور عبد الرحمن يسري احمد مدرس الاقتصاد بجامعتي الاسكندرية وبيروت العربية – ٥٦ صفحة – حجم كبير – منشورات جامعة بيروت العربية – مطبعة دار الاحد (البحيري اخوان) ببيروت.

● مناهج البحث الفلسفي – تاليف الدكتور محمود زيدان استاذ الفلسفة المساعد بكليتي الاداب بجامعة الاسكندرية وجامعة بيــروت العربية – ١٦٠ صفحة – حجم كبير – منشورات جامعة بيروت العربية. مطبعة دار الاحد (البحيري اخوان) ببيروت .

● ابن سينا ومذهبه في النفس ، دراسة في القصيدة العينية. تاليف الدكتور فتح الله خليف – استاذ الفلسفة الاسلامية المساعد بجامعتي الاسكندرية وبيروت العربية – ١٩٠ صفحة – حجم كبير – منشورات جامعة بيروت العربية – مطبعة دار الاحد (البحيري اخوان) ببيروت.

● احلام واغاريد – مجموعة شعرية – ناهض نايف حتر – ٣٢ صفحة – المطبعة الاردنية بعمان .

● شيء غير الخبز – مجموعة شعرية – سعيد رجو – الغلاف والرسوم لوجيه مغاربة – ١١٢ صفحة – مطبعة امية بحلب .

● تحت النافذة – قصص ومسرحيات – تاليف مراد السباعي – لوحة الغلاف لجينه الاصيل – ٩٦ صفحة – حجم كبير – منشورات اتحـاد الكتاب العرب بدمشق – مطابع الف باء / الاديب بدمشق .

● مولد النسيان وتاملات اخرى – تاليف محمود المسعدي – ١٥٦صفحة – منشورات الدار التونسية للنشر – مطبعة الدار التونسية للنشــر بتــونس .

● الفارس الطائر – تاليف المنصف المهذبي – اللوحات بريشة الحبيب السعيدي – ٣٦ صفحة – حجم كبير ، منشورات الدار التونسية للنشر – مطبعة الدار التونسية للنشر بتونس .

● أب – شعر – عمر بهاء الدين الاميري – ١٢٨ صفحة – دار القران الكريم – مطابع دار الفتح ببيروت .

● الموسوعة الموجزة – حسان بدر الدين الكاتب – المجلد ٢ – حرف٦(ح) – ٦٢ صفحة – حجم كبير – مطابع الف باء/الاديب بدمشق .

● بعض اشعــاري – عمر ابو قوس – تقديم حسيب حلوي – ١٧٤ صفحة – المطبعة الحديثة بحلب .

● علي البهلوان حياته واثاره – تاليف رشيد الذوادي – ١٠٤ صفحة – منشورات دار عطارد بتونس – مطبعة الشركة التونسية لفنـــون الرسم بتونس .

● خطا في العــد التنازلي – تمثيلية – تاليف عبد المجيد لطفي – ٩٦ صفحة – دار الحرية للطباعة ببغداد .

● لبنان على السنة الشعراء : كتاب محفوظات للروضة والصفوف الابتدائية – جمعه وليم نجيب صعب – ٩٦ صفحة – (صدر في بيروت) – (لم يذكر اسم المطبعة).